

وظائف شهر رمضان المبارك

وفضائل صيام ستة الأيام بعده

ويليه

وظائف العشر الأواخر من رمضان المبارك

تأليف الفقير إلى رحمة الله

أبراهيم بن محمد العزب الغريزي

غفر الله له ولوالديه

ولإخوانه المسلمين

آمين

١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، وعليه نتوكل

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد ،
وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فهذه وظائف شهر رمضان المبارك ، فيها الترغيب في الصلاة
والصيام ، وقراءة القرآن ، وإخراج الزكاة ، والصدقات ، وبر الوالدين ،
والإحسان إلى القربات ، والحث على جميع الطاعات .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ،
سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. هذه، وظائف شهر رمضان .

فصل

في التهنية بقدم شهر رمضان المبارك

روى الإمام أحمد والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدم شهر رمضان
يقول : جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه ،
فيه تفتح أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ،
وفيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » .

قال بعض العلماء : هذا الحديث أصل في تهنية الناس بعضهم
بعضاً بشهر رمضان . وفي الحديث الآخر : « لو يعلم الناس ما في رمضان
لتمت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها » أخرجه ابن أبي الدنيا .

كيف لا يبشر المؤمن بفتح أبواب السماء والجنان ؟

كيف لا يبشر المذنب بغلاق أبواب النيران ؟

كيف لا يبشر العاقل فيه بغل الشيطان ؟ من أين يشبه هذا الزمان

زمان ؟

وفي حديث آخر : « أتاكم رمضان ، سيد الشهور فرحبا به
وأهلا ، جاء رمضان بالبركات ؛ فأكرم به من زائر هو آت » .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان ،
فكان إذا دخل رجب يقول : « اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا
رمضان » .

وكان السلف يدعون الله ستة أشهر يبلغهم رمضان ، ثم يدعون الله
سنة أشهر أن يتقبله منهم ، وكان المسلمون يقولون عند حضرة شهر
رمضان : اللهم قد أظلمنا شهر رمضان وحضر ، فسامه لنا وسامنا له ،
وارزقنا صيامه وقيامه ، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد ، والقوة والنشاط ،
وأعدنا فيه من الفتن .

أنا رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا وذاك فاتخذ للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها ناده نادما يوم الحصاد

من لم يربح في هذا الشهر ، ففي أي وقت يربح ؟

من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح .

كم من مؤمل أن يصوم هذا الشهر ففاته أمه . كم من مستقبل
بوما لا يستكملها . و مؤمل غداً لا يدركه .

روى مسلم عن النواس بن سميان رضى الله عنه قال : « سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا
يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، كأنهما غمامتان أو ظلتان
سوداوان ، بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن
صاحبهما » .

وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد ، قيل يا رسول الله :
ما جلاءها ؟ قال : ذكر الله وتلاوة القرآن » .

فصل

اعلم أن للصيام آداباً يجمعها حفظ الجوارح الظاهرة ، وحراسة
الخواطر الباطنة ، فينبغى أن يتلقى شهر رمضان بتوبة صادقة ، وعزيمة
موافقة ، واعلم أنه يجب تقديم النية ومحلها القلب في الصلاة والصيام
وغيرها ، وهي لازمة كل ليلة ، وهي اعتقاد القلب فعل الشيء وهزمه
عليه من غير تردد ، ومحلها الليل كله لحديث : « إنا الأهمال بالنيات ،
وإنما لكل امرئ ما نوى » . ويجب على الصائم اجتناب كذب
وغيبة ونعيمة وشتم وكف لسانه عن كل ما يذم ويكره .

واعلم أنه لا يتم الصوم إلا باستكمال ستة أمور :
 الأول : غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم
 ويكره .

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان . قال صلى الله عليه وسلم « إنما :
 الصوم جنة ، فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرء
 شاعه أو قاتله فليقل : إني صائم » .

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل محرّم أو مكروه .

الرابع : كف الجوارح من الآثام من اليد والرجل والبطن عن
 الشهوات وقت الإفطار ، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام
 الحلال ثم الإفطار على الحرام . فنال هذا الصائم كمن يبني قصرآ
 ويهدم مصرآ ، فأكل الحرام سبب لرد الدعاء وعدم القبول .

الخامس : أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث
 يعتلى . قال صلى الله عليه وسلم : « ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
 لنفسه »

السادس : أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف
 والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقرّبين ؟ أو يرد عليه
 فهو من الممقوتين ؟ وليكن ذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها .

فيا عباد الله : اجتنبوا الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة
والنظر بشهوة .

ومن سنن الصيام : تمجيل الفطور ، وتأخير السحور ، لقوله
صلى الله عليه وسلم : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ، وفي ذلك
مخالفة لليهود » . ولقول زيد بن ثابت رضى الله عنه : « تسحر ناعم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قام إلى الصلاة ، قلت : كم كان بينهما؟
قال : قدر ما يقرأ القارىء خمسين آية » .

والسنة : الإفطار على رطب ، فإن لم يجد ، فعلى تمر ، فإن لم يجد
فعلى ماء ، ويسن أن يدهو عند فطره بما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم .
كان صلى الله عليه وسلم إذا أفطر قال : « اللهم لك صمت ، وعلى
رزقك أفطرت ، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم » .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول عند فطره : « اللهم إني
أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لى » .

فعليكم عباد الله بفعل المسنونات ، واجتناب المحرمات ، والتورع
عن المكروهات ، اصمع يا من طول سنته قد نام ، وانتبه لهذه الأيام ،
هذا شهر عمارة الحراب ، هذا زمان حضور الألباب ، هذا وقت
تلاوة الكتاب .

فصل

في فضل الصيام

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . قال الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، وخلفوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » وفي رواية . « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي » .

وفي رواية للبخاري : « لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به » .

فعلى الرواية الأولى : يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة ، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام ، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد ، بل يضاعفه الله أضافاً كثيرة بغير عدد ، فإن الصيام من الصبر . وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْتِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمى شهر رمضان

شهر الصبر وفي الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصوم نصف الصبر » والصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارم الله ، وصبر على أقدار الله المؤلمة ، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم ، فإن فيه صبراً على طاعة الله ، وصبراً عن ما حرم الله على الصائم من الشهوات ، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش ، وضعف النفس والبدن ، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه ، كما قال تعالى في المجاهدين : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ ﴾ فمن رحم في هذا الشهر فهو المرحوم ، ومن حرم خيره فهو المحروم ، ومن لم يتردد فيه لمعاده فهو الموم ، فأعدوا القدومه عُدَّةً واسألوا الله فيه التوفيق إلى أن تكملوا العدة ، والحذر الحذر من التفريط للإهمال والتكامل عن صالح الأعمال ، فهمة الصالحين فيه : الصيام والقيام ، والاشتغال بذكر الملك العلام

فالسيد من اغتتم موسم العمر قبل ذهابه ، وحاسب نفسه على أعماله قيل : قراء كتابه ، ومراقب مولاة مراقبة من يعلم أنه يراه وذلك أولى به

فصل

واعلم أن مضاعفة الأجر للأعمال تكون بأسباب منها : شرف المكان المعمول به ذلك العمل كالحرمين الشريفين ، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدى مكة والمدينة ، كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » .

وكذلك روى أن الصيام يضاهف فى الحرم ، كما فى سنن ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أدرك رمضان بركة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه » و ذكر له ثوابا كثيرا .

ومنها : شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذى الحجة وفى حديث سلمان رضى الله عنه فى فضل شهر رمضان : « من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » .

وذكر ابن أبى مریم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون إذا حضر شهر رمضان : انبسطوا فيه بالنفقة ، فإن النفقة فيه مضاعفة ، كالنفقة

في سبيل الله ، وتسيحة فيه أفضل من ألف تسيحة ، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة .

فيا عباد الله . سارعوا فيه إلى الطاعات ، وحافظوا على الجمع والجماعات ، وجنبوا صيامكم الأمور المفسدات ، واحذروا على أعمالكم من المحبطات .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن ؟ قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيدي فعد خمسا فقال : اتق المحارم تكن أعبد للناس ، وأرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » . رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب . وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » .

ياذا الذى ما كفاه الذنب فى رجب حتى عصى ربه فى شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدها فلا تصيره أيضا شهر عصيان
واتل القرآن وسبح فيه مجهدا فإنه شهر تسيح وقرآن

فصل

وقد يضاعف الشراب بأسباب أخر . منها : شرف العامل عند الله
وقربه منه ، وكثرة تقواه ، كما ضوعف أجر هذه الأمة على أجور من
قبلهم من الأمم المتقدمة ، وأعطوا كفلين من الأجر .

وروى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « إن لله عز وجل أهلين من الناس ، فقيل : من أهل الله منهم ؟
قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » .

فينبغي أن يقرأ مرتباً متباً كياً ، معظماً للكلام والمتكلم به ،
محضراً لقلبه متدبراً لما يتلوه . قال ابن مسعود رضى الله عنه : « من
ختم القرآن فله دعوة مستجابة » ، وقال عبد الرحمن بن الأسود : « من
ختم القرآن نهائياً غفر له ذلك اليوم ، ومن ختمه ليلاً غفر له تلك الليلة » .
وعن طلحة بن مصرف قال : « من ختم القرآن فى أى ساعة من النهار
كانت ، صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، وأى ساعة من الليل كانت ،
صلت عليه الملائكة حتى يصبح » .

فأكثر وارحمكم الله من الصلاة والصدقات ودراسة القرآن
نهائياً وليلاً .

هذا هو الكلام القديم ، هذا كلام السميع العليم ، هذا الذي منه
 ألم ، هذا كلام الرحمن ، هذا الدليل والبرهان ، هذا الذي إذا سمعه
 الشيطان وثى واعتزل ، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ، هذا كلام
 ذى العزة والعلا ، هذا الذى أعجز جميع الفصحاء ، هذا الذى تكلم
 به فى الأزل ، من لا يزال ولم يزل ، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل .

عن أبى هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « إن الله تعالى قرأ (طه) و (ياسين) قبل أن يخلق السموات
 والأرض بألف عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة
 ينزل هذا عليها ، طوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة
 تتكلم بهذا » رواه الدارمى .

فى صحيح البخارى من عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تعار من الليل فقال : لا إله
 إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ،
 وصبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة
 إلا بالله ، ثم قال : رب اغفر لى ، أو قال : ثم دعى استجيب له ، فإن
 توصأً وصلى قبلت صلاته » .

عباد الله ، أين من كان معنا فى رمضان الماضى ؟ أما آتته آفات

المنون القواضي ، فتوبوا من المعاصي ، واستعدوا ليوم يؤخذ بالنواصي .

فصل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى في الصيام « فإيه لي » فإن الله تبارك وتعالى خص الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال ، وذلك لأن الصيام سر بين العبد وبين ربه ، لا يطلع عليه غيره سبحانه . لأنه مركب من نية باطنة ، لا يطلع عليها إلا الله سبحانه ، وأيضاً فإنه رؤى أن من خصال الإيمان : الصوم في الصيف . فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه .

قال أبو الدرداء رضى الله عنه : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان في سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة » فإذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهييه مع قدرتها عليه ، ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يطلع عليه إلا الله سبحانه ، كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان ، فإن الصائم يعلم أن له رباً يطلع عليه في خلواته فأطاع ربه ، وأتمثل أمره ، واجتنب نهيه ، خوفاً من عقابه ، ورغبة

في ثوابه ، فشكر الله له ذلك ، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله . ولذلك قال : إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجله .

قال بعض السلف : « طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعده غيب .

لم يره » .

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في الجنة ثمانية أبواب ، منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » وفي الحديث : « إن الجنة لتزخرف وتجدد من الحول إلى الحول لدخول رمضان فتقول الحور : يارب اجعل لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا » .

تجمع الخلائق كلهم في صعيد وينقسمون إلى شقي وسعيد ، فقوم قد حل بهم الوعيد ، وقوم قيامتهم نزهة وعيد ، وكل عامل يفترف من مشربه ، من يعمل سوءاً يجز به ، فيا من فرط في الأوقات الشريفة وضيعها ، وأودعها الأعمال السيئة وبئس ما استودعها ، مضى شعبان وما أحسنت فيه ، وهذا شهر رمضان المبارك فاجتهد في أيامه ولياليه .

فصل

وأما قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى :
 « إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي » فيه إشارة إلى المعنى
 الذى ذكرناه ، وهو أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشبهه نفسه
 من الطعام والشراب والنكاح ، وهذه أعظم شهوات النفس وفى
 التقرب بترك هذه الشهوات فى الصيام فوائد عديدة .

منها : كسر النفس . فإن الشيع والرى ومباثمة النساء تحمل النفس
 على الأشر والبطر والغفلة .

ومنها : تخلى القاب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات
 قد تقسى القاب وتعميه ، وتحول بين العبد وبين الفكر وتستدعى
 الغفلة .

ومنها : أن الغنى يعرف قدر نعمة الله عليه ، بإقداره على ما منعه
 كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح ، فيوجب
 له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج
 ومواساته بما يمكن من ذلك كما فى الحديث : « الراحون يرحمهم
 الرحمن ، ارحوا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » .

وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الخير خزان لتلك الخزان مفاتيح ،
فطوبى لعبد جملة الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر ، وويل لعبد جملة الله
مفتاحا للشر مغلاقا للخير » .

ومنها : أن الصيام يضيق مجارى الدم التى هى مجارى الشيطان
لابن آدم ، فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فتسكن
بالصيام وساوس الشيطان وتسكن ثورة الشهوة والغضب . وفى
الصحيح أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « أوصنى . قال :
لا تغضب . فرد ذلك مرارا ، قال : لا تغضب » .

ومن فوائد الصيام : تكثير الثواب . قال أبو أمامة الباهلى للنبي
صلى الله عليه وسلم : « دلنى على عمل آخذه عنك ، قال : عليك بالصوم
فإنه لأعدل له » .

ومنها : حسن المآب ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى سمى الصائمين
السائمين حيث قال : (التائبون العابدون الحامدون السائحون) قيل :
هو الصائم ؛ لأنه يسبح فى الجنة حيث شاء .

وروى : « أن الجنة تشتاق لأربعة نفر : صائمى رمضان ، وتالى
القرآن ، وحافظى اللسان ، ومطعمى الجيمان » .

ومنها : عفو رب الأرباب لقوله صلى الله عليه وسلم : « أتاكم شهر
أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » .

فصل

وقوله صلى الله عليه وسلم : « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ،
وفرحة عند لقاء ربه » .

أما فرحة عند فطره ، فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها
من مطعم ومشرب ومنكح ، فإذا أمنت ذلك في وقت من الأوقات
ثم أبيع لها في وقت آخر فرحت بإباحة ما نمت منه . فالصائم ترك
شهوته بالنهار تقرباً إلى الله وطاعة له ، وبادر إليها بالليل تقرباً إلى الله
وطاعة له ، فإذا بادر الصائم بالفطر تقرباً إلى . ولاء وأكل وشرب
وحمد الله ، فإنه ترجى له المغفرة وبلوغ الرضوان بذلك .

وفي الحديث : « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة
فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » وربما استجيب دعاؤه
بذلك كما في الحديث : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » رواه
ابن ماجه . وإن نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على الصيام والقيام ،

كان مثاباً على ذلك ، كما أنه إذا نوى بنومه التقوى على العمل ، كما
نومه عبادة .

وفي حديث مرفوع : « نوم الصائم عبادة » .

قالت حفصة بنت سيرين : قال أبو العالية : « الصائم في عبادة مالم
ينتعب أحداً وإن كان نائماً على فراشه » فكانت حفصة تقول : يا حبيبة
عبادة وأنا نائمة على فراشي .

وفي الحديث : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى
يفطر ، ودعوة المظلوم » .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القلوب أوعية وبعضها أوعى من
بعض ، فإذا سألتهم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ،
فإنه لا يستجيب لعبد دعاءه عن ظهر قلب غافل » ولكن شرط ذلك
أن يكون فطره على حلال ، فإن كان على حرام كان ممن صام مما أحل
الله له وأفطر على ما حرم الله عليه ولم يستجب له دعاء ، كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم في الذى يطيل السفر : « أشعث أغبر يمد يديه إلى
السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام »
وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » .

فصل

وأما فرحه عند لقاء ربه ، فبما يجده من ثواب الصيام مدخراً عند
الله ، فيجده أحوج ما كان إليه . كما قال تبارك وتعالى : ﴿ وما تقدموا
لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً ﴾

وقال تعالى : ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ﴾
وقال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴾ .

وفي المسند عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم « لبس من عمل يوم إلا يتختم عليه » وعن عيسى عليه السلام
قال : « إن هذا الليل والنهار خزائنان فانظروا ما تضعون فيهما » .

فالأيام خزائن للناس ممثلة بما خزوه فيها من خير وشر ، ويوم
القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها ، فالمتقون يجدون في هذه الخزائن
العز والكرامة ، والمذنبون يجدون في خزائهم الحسرة والندامة ،
كم بين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقا الملائكة ، هذا يوممكم
الذى كنتم توعدون ، وبين الذين يدعون إلى نار جهنم دعاء ، هذه النار
التي كنتم بها تكذبون .

روى الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : « إن في الجنة مجتمعاً للجنود العيين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق لمثلها يقآن : نحن الخالدات فلا نبديد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكناله » .

وروى ابن ماجه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، قال : وذلك قوله تعالى ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ قال : فنظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم . ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره » .

قد أزلفت جنّة النعيم فيا طوبى لقوم برّبها نزلوا
أكوابهم عسجد يطاف بها والحجر والسلسبيل والمسل
والحور تلقاهم وقد كشفت عن الوجوه الأسفار والكمال

واعلموا رحمكم الله أن الشأن في صدق التوبة وليست التوبة نطق اللسان ، إنما هي ندم القلب وعزوه أن لا يعود .

فصل

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وخلقوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » .

وذلك أن الصيام لما كان سرّاً بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله علانية للخلق ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم بالدنيا ، كما في الحديث عن أنس رضى الله عنه مرفوعاً : « يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواهم ، ريح أفواهم أطيب من ريح المسك ، وقد تفوح رائحة الصيام بالدنيا . كان عبد الله بن غالب من المجتهدين في الصلاة والصيام ، فلما دفن كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤى في المنام ، فسئل عن تلك الرائحة فقال : تلك رائحة التلاوة والظما . وفي الحديث : « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله رداءها علانية » .

يامقصر آ في أعماله ، بخيلاً بجماله ، لا تسألون عن حالة يوم ترحاله ، يادائم الخسران فما يبرح ، يامقياً على المعاصي فما يبرح ، من رأيت فعل فملك أفلاح ، صاحب أهل الخير تكن منهم ، واستفد خصالهم وخذ عنهم .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « لما نزل قوله تعالى : ﴿ من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ قال أبو الدحداح - يعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال : نعم . قال : أرني يدك يا رسول الله . قال : فناوله يده فقال : إني قد أقرضت ربي حائطى قال : وحائطه فيه ستائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادى : يا أم الدحداح : قالت : لبيك . قال : اخرجى من الحائط فقد أقرضته ربي عز وجل « سبحان من خلق تلك النفوس واختارها ، وصفاها بالتقى ورفع أكرادها .

قوم تيقظوا في أمورهم وعقلوا

وحاسبوا أنفسهم فأضاعوا ولاغفلوا

وتدبروا منازل المتقين فنزلوا فالأيك لهم جزاء الضعف بما عملوا

هم الرجال وغبن أن يقال لمن لم يتصف بمعالى وصفهم رجل

سبحان من قضى لقوم سرورا ، وعلى آخرين ثبورا ، وكان أمر الله

قدراً مقدورا ، ومن لم يجعل الله له نوراً ، فما له من نور .

أيها العاقل : اغتنم أيام حياتك ، قبل انقراض مدتك وتكامل

أيامك ، فإن العمر ساعات تذهب ، وأوقات تنهب ، وكلها معدودة

عليك ، والموت يدنو كل لحظة إليك .

فصل

في العشر الأوسط من شهر رمضان

في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الأوسط من رمضان ، فاعتكف عاما حتى كان ليلة أحد وعشرين ، وهي الليلة التي يخرج في صبيحتها من اعتكافه فقال : من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الأواخر ، فإنني قد رأيت هذه الليلة ثم أنصيتها وقد رأيتني أسجد في ماء وطين في صبيحتها فالتسوها في العشر الأواخر ، والتسوها في كل وتره فطرت السماء تلك الليلة ، وكان المسجد على عريش فوكل المسجد ، فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته أثر الماء والطين من صبح إحدى وعشرين .

وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأوسط ابتغاء ليلة القدر قبل أن يتبين له أنها في العشر الأواخر ، ثم لما تبين له اعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله عز وجل .

عباد الله ، هذه أوقات زواهر ما أشرفها ، وساعات كالجواهر مما أظرفها ، أشرقت لياليها بصلاة التراويح ، وأنارت أيامها بالصلاة

وتلاوة القرآن والتسبيح ، فاجتهدوا فيها على الإخلاص والصدق ،
لعلمكم أن تدركوا الخلاص والعتق .

فطوبى لمن غنمها بصحوه ، وغسل فيها درن التقصير بمحوه ،
وصرف نفسه عن شهواتها وأغراضه ، ورجع إلى طاعة ربه خوفاً من
إعراضه ، والويل لمن عدم يجمله فوائدها ، وحرّم بتقصيره
زوائدها ، وأفات نفسه لغلته خيرا ، أملا منه أن يرى غيرها ، إذا
خسرت في هذا الشهر فمتى تريح ؟ وإذا لم تسافر فيه نحو الفوائد
فمن أين لك أن تفرح ؟

عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ثلاثة يضحك الله إليهم : رجل يقوم من الليل ، والقوم قد صفوا
في الصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » أين أهل الأذكار ، أين قوام
الأسحار ، أين صوام النهار ، خلت والله منهم الديار ، وامتلات
بهم القفار .

فصل

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله عز وجل بترك الشهوات المباحة
في غير حالة الصيام ، إلا بترك التقرب إليه بترك ما حرم الله في كل

حال من الكذب ، والظلم ، والمدوا على الناس في دماءهم وأموالهم
وأعراضهم .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور
والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .
وقال بعض السلف : أهون الصيام ترك الطعام والشراب .

وقال جابر رضى الله عنه : إذا صمت فليصم صمك ، وبصرك ،
ولسانك من الكذب ، والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك
سكينة ووقار يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك
سواء ، إذا لم يكن في السمع منى تصاون ، وفي بصرى غض وفي
منطقي صمت ، فحظى إذا من صومى الجوع والظماً ، فإن قلت : إنى
صمت يومى فما صمت .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رب صائم حظه من صومه الجوع
والظماً ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » .

وقد ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب بالنهار ،
تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، فإن أكل أموال الناس بالباطل
محرم في كل زمان ومكان .

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع :
«ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم
هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا . ثم يرفع يديه إلى السماء ويقول :
اللهم هل بلغت .»

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى
ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن
يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه» .
وعن أسماء بنت ميمس رضی الله عنها قالت : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « بثس العبد عبد تخيل واختال ، ونسى
الكبير المتعال ، بثس العبد عبد تجبر واعتدى ، ونسى الجبار الأعلى ،
بثس العبد عبد سهى ولهى ونسى المقابر والبلى ، بثس العبد عبد عتى
وطغى ونسى المبتدا والمنتهى ، بثس العبد عبد يفتل الدنيا بالدين ،
بثس العبد عبد يفتل الدين بالشبهات ، بثس العبد عبد طمع يقوده ،
بثس العبد عبد هوى يضلّه ، بثس العبد عبد رغب يذله » رواه الترمذی
وقال هذا حديث غريب .

فصل -

في فضل الجود في رمضان وتلاوة القرآن

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » ، وخرجه الإمام أحمد بزيادة في آخره وهي : « لا يسأل عن شيء إلا أعطاه الجود هو سعة العطاء وكثرته والله سبحانه وتعالى يوصف بالجود » .

وفي الترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى قال : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم ، وحيكم وميتكم . ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد ، فسأل كل كل إنسان ما بلغت أمنيته ، فأعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكي ، إلا كما لو أن أحدكم مرَّ بالبحر فمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ، ذلك بأني جواد ، واجد ، ماجد ، أفعل ما أريد ، عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمرى لشيء إذا أردته أن أقول له : كن فيكون » .

وجوده تعالى يتضاعف في أوقات مخصوصة ، كشهر رمضان ،
وفيه أنزل قوله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة
الداعي إذا دعاني ﴾ .

وفي الحديث الذي أخرجه الترمذى وغيره في فضل شهر رمضان
وفيه : « أنه ينادى مناد : يا باغى الخير هلم ، ويا باغى الشر أقصر ؛ والله
عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة » .

ولما كان الله قد جبل نبيه صلى الله عليه وسلم ، على أكمل الأخلاق
وأشرفها ، كان صلى الله عليه وسلم أجود بنى آدم على الإطلاق ، كما أنه
أفضلهم ، وأعلمهم ، وأشجعهم ، وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة ،
وكان جوده صلى الله عليه وسلم يجمع أنواع الجود من بذل العلم والمال ،
وبذل نفسه لله في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل
طريق من إطعام جانتهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل
أثقالهم ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال منذ نشأ .

ولهذا قالت له خديجة في أول مبعتها : « والله لا يخزيك الله أبداً ،
إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب
المعدرم ، وتمين على نوائب الحق » .

وفي الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس .»

يامن يحدث نفسه بدخول جنات النعيم
 فاسلك طريق المتقين وان خيراً بالكريم
 واذكر وقوفك خائفاً والناس في أمر عظيم
 إما إلى دار الشقاوة أو إلى العز المقيم
 فاغنم حياتك واجتهد وأنب إلى الرب الرحيم

فصل

وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وابتغاء مرضاته ، فإنه
 يبذل المال إما لفقير محتاج ، أو ينفقه في سبيل الله أو يتالف به على
 الإسلام ، وكان يؤثر على نفسه وأهله وأولاده ، فيعطى عطاء تمجيز
 عنه الملوك مثل : كسرى ، وقيصر ، ويعيش في نفسه عيش الفقراء ،
 فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار ، وربما ربط على بطنه
 الحجر من الجوع .

وكان صلى الله عليه وسلم قد أتاه سبي مرة ، فشكت إليه فاطمة
 ما أتت من خدمة البيت وطلبت منه خادماً يكفيها ووثنة بيتها . فأمرها
 أن تستعين بالتسبيح ، والتكبير ، والتحميد عند نومها . وقال :

« لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع » .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أحيني مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين . فقالت عائشة : لم يارسول الله ؟ قال : إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا ، يا عائشة لاتردى المسكين ولو بشق تمر ، يا عائشة أحبى المساكين وقر بهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة » رواه الترمذى والبيهقى فى شعب الإيمان .

وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف فى شهر رمضان على غيره من الشهور ، كما أن جود ربه يتضاعف فيه ، فإن الله قد جبه على ما يجب من الأخلاق الكريمة ، وكان على ذلك من قبل البعثة ، فإنه صلى الله عليه وسلم يجاور بحراء من كل سنة شهر ، يطعم من جاءه من المساكين ، حتى إذا كان الشهر الذى أراد الله به من الكرامة ، كان ذلك الشهر شهر رمضان ، وكان يلتقى هو وجبريل عليهما السلام فيدارسه الكتاب الذى جاء به إليه وهو يبحث على مكارم الأخلاق ، وكان صلى الله عليه وسلم : القرآن له خلقا حيث يرضى ارضاه ، ويسخطه لسخطه ، ويسارع إلى ما يبحث إليه .

فلماذا ، كان جوده فى هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل ،

وكثيرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم لاشك أن المخالطة تؤثر
وتورث أخلاقاً من المخاطب . وقال بعض الشعراء : يمدح بعض الأجواد
ولا يصلح ذلك إلا للنبي صلى الله عليه وسلم :

تود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراه إذا ماجشته متمللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها وليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

عباد الله ، هذا شهر رمضان قد انتصف ، فمن منكم حاسب فيه
نفسه وانتصف ؟ من منكم صام في هذا الشهر بحقه الذي عرف ؟
من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبني له غرف من فوقها
غرف ؟ ألا إن شهركم قد أخذ بالنقص فزيدوا أتم بالعمل فسكانكم
به وقد انصرف ، فكل شهر فمسي أن يكون منه خلف ، وأما شهر
رمضان فمن أين لكم منه الخلف ؟

فصل

وقد دل الحديث أيضاً على استحباب دراسة القرآن في شهر رمضان والاجتماع على ذلك ، وعرض القرآن على من هو أحفظ له .

وفي حديث ابن عباس : « أن المدرسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً ، ودل على استحباب الإكثار من المدرسة بالليل ، لأن الليل تنقطع فيه الشواغل ، وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القاب واللسان على التدبر ، فينبغي للإنسان أن يتدبر القرآن ، وما فيه من الأحكام ، والوعد والوعيد ، وذكر الجنة والنار ، فيسأل الله الجنة ، ويستعين به من النار ، وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن ، كما قال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ .

قال ابن عباس : « أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة في الليل في رمضان أكثر من غيره ، لا يمر في آية فيها ذكر رحمة ، إلا سأل ، أو فيها عذاب إلا تعوذ » .

وقد كان السلف يتلون القرآن في رمضان في الصلاة وغيرها ، كان الأسود يقرأ القرآن في كل ليلتين من رمضان ، وكان النخعي يحتم

في العشر الأواخر كل ليلتين ، وفي بقية الشهر في كل ثلاث ليال .

وكان فتادة يختم القرآن في رمضان في كل ثلاث ليال ، وفي العشر الأواخر كل ليلة ، وكان للشافعي رحمه الله ستون ختمة يقرأها في غير الصلاة .

وكان الزهري يقول : « إذا دخل شهر رمضان ، فإنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام » .

وقد ورد في الأثر : « أن القرآن والصيام يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار ، ويقول القرآن أي رب منعتك النوم بالليل فشغفني فيه ، فهذا لمن حفظ صيامه ، ومنعه من شهواته ، ومن المحرمات جميعها ، فأما من لم يحفظ صيامه من المحرمات ؛ فإنه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ، ويقول ضيعك الله كما ضيعتني ، كما ورد مثل ذلك في الصلاة » .

عباد الله ، هذا شهر رمضان ، الذي أنزل فيه القرآن ، وفي بقيته للعابدين مستمتع ، وهذا كتاب الله يتلى بين أظهركم ويسمع ، وهو لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع ، ومع هذا ، فلا قلب يخشع ، ولا عين تدمع ، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ، ولا قيام استقام

فيرجى لصاحبه أن يشفع ، فلوب خلت من التقوى فهى خراب
بلقع ، وتراكت عليها الذنوب فهى لا تبصر ولا تسمع .

واعلموا رحمكم الله ، أن المقصود من الصلاة إتمامه وتعظيم المعبود ،
وتعظيمه لا يكون إلا بحضور قلب .

قال الحسن رحمه الله : « ابن آدم إذا هانت عليك صلاتك ، فما
الذى يمز عليك ؟ فحافظ على صلاتك واحضر قلبك عند مناجاة
ربك » .

فصل

واعلم أن القرآن يشفع لمن حفظه ، وقام بحقه ، ولم يتعد حدوده ؛
كما روى الإمام أحمد عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق
عنه القبر ، كالرجل الشاحب فيقول : هل تعرفنى ؟ أنا صاحبك الذى
أظمأتك فى الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وكل تاجر من وراء تجارته ،
فيعطى الملك يمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار .
ثم يقال له : اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها ، فهو فى صعود مادام
يقرا هذا كان أو ترميلا » .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : « ينبغي لقارئ القرآن أن يكون
 باكيا ، حزينا ، حليما ، سكيئا ، لينا ، ولا يكون جافيا ، ولا غافلا ،
 ولا صياحا ، ولا يجهل فيمن يجهل ، ولا يجد فيمن يجد ، ولكن
 يعفو ، ويصفح . وقال : إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبة الله
 ما استطعتم . إن هذا القرآن جبل الله المتين ، ونور مبین ، وشفاء
 نافع ، وعصمة لمن تمسك به ، ومنجاة لمن اتبعه ، لا يموج فيقوم ،
 ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقض عجايبه ، ولا يخلق عن كثرة الترداد .
 اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات . أما أنى
 لا أقول لكم (ألم) حرف ولكن الألف حرف ، واللام حرف ،
 والميم حرف ، وبكل حرف عشر حسنات » .

وعن سعيد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال : « من ختم القرآن
 نهاراً ، صلت عليه الملائكة حتى يمسي ، ومن ختمه ليلاً ، صلت عليه
 الملائكة حتى يصبح » .

قال عبد الله بن المبارك : « كانوا يستحبون أن يختم في أيام الصيف
 في أول النهار ، وفي أيام الشتاء في أول الليل حتى تكون الصلاة
 عليهم أكثر » .

عباد الله ، هذا موسم المجتهدين أهل العزم والحزم رأياً وعقلاً ،

وفي كل عام تزدون وقد أسرع الموت بخياركم انتقالا ورحلا ، ولم يبق
 إلا أهل التفريط عجزاً وكسلاً ، ولم يبق إلا أن تمدوا إلى ربكم
 أكف الفقر في الخلوات أوقات الإجابات نهاراً وليلاً ، وصلى الله
 وسلم على محمد .

فصل

واعلم أن من أعطاه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به
 في النهار ، فإن القرآن ينتصب له خصماً يوم القيامة يطالبه بحقوقه التي
 ضيما . كما في مسند الإمام أحمد رحمه الله من حديث سمرة رضي الله
 عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه رجلاً مستلق على
 قفاه ، ورجل قائم على رأسه ، بيده نهر أو صخرة فمشدخ به رأسه
 فيتدهده الحجر ، فإذا ذهب لياخذه عاد رأسه كما كان ، فيصنع به مثل
 ذلك . فسئل عنه فقيل : هذا رجل أتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ،
 ولم يعمل به في النهار ، فهو يعمل به ذلك إلى يوم القيامة » .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : « القرآن شافع مشفع ، ومما حل
 مصدق ، فن جعله إمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه
 إلى النار » .

فيا من صيع عمره في غير الطاعة ، يامن فرط في شهره بل في دهره
وأضاعه ، يامن بضاعته التسوييف والتفريط وبثست البضاعة ، يامن
جعل خصمه القرآن وشهر رمضان ، كيف ترجو ممن جعلته خصمك
الشفاعة ؟ رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم
حظه من قيامه التعب والسهر .

في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من الشقاء :
جمود العين ، وقساوة القلب ، والحرص على الدنيا ، وطول الأمل » .
وروى الشافعي عن عمر رضى الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم
خطب يوماً فقال في خطبته : ألا إن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه
البر والفاجر ، ألا وإن الآخرة أجل صادق ويقضى فيها ملك قادر ،
ألا وإن الخير كله بمخايفه في الجنة ، ألا وإن الشر كله بمخايفه
في النار ، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم
معرضون على أعمالكم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل
مثقال ذرة شراً يره » .

واجتهدوا رحمكم الله بالصلاة ، وصلة الأرحام ، وإخراج الزكاة إلى
مستحقها ، فإنها أحد أركان الإسلام ، ولا تؤثروا عند إخراجها شحاً
ولا بخلاً ، فهي طهرة للأموال ، فمن لم يؤدها فعليه الغضب هو أنها
من الودلا .

فصل

وفي تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بخصوصه
فوائد كثيرة :

منها : شرف الزمان ومضاعفة أجر العامل فيه .

وفي الترمذى عن أنس مرفوعاً : « أفضل الصدقة صدقة
في رمضان » .

ومنها : إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتهم
فيستوجب المعين مثل أجورهم ، كما أن من جهز غازياً فقد غزا .

وفي حديث زيد بن خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« من فطر صائماً فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم
شيء » .

وفي حديث سلمان : « وهو شهر المواساة وشهر يزداد فيه رزق
المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ،
وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئاً . قالوا :
يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم . قال : يعطى الله هذا

الثواب لمن فطر صائماً على مذقة لبن أو تمررة أو شربة ماء، ومن سقا فيه صائماً سقاها الله من حوضي شربة لا يظماً حتى يدخل الجنة» .

وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من يشرب منه لا يظماً أبداً » .

ومنها : أن شهر رمضان يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار ، لاسيما في ليلة القدر ، والله يرحم من عباده الرحماء ، كما في الحديث : « الراحون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالفضل والعطاء ، والجزاء من جنس العمل .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم امأشمة : « عليك بالرفق ، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ : « أحسن خلقك للناس ، وأكل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً » .

وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أصبح منكم اليوم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم

جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» .

فكان أبو بكر رأس المنفقين أموالهم في سبيل الله . قال صلى الله عليه وسلم: « ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ، فبكى أبو بكر وقال : وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ » كانوا إلى ما يرزى مولايم يبادرون ، فقد آمنوا بما يخافون ، فباحسبهم والولدان بهم يحفون وبالخور الحسان في خيام اللؤلؤ يتمتعون ، وعلى أسرة الذهب والفضة يتزاورون ، وبالوجوه الناضرة يتقابلون على الأرائك ينظرون .

فصل

وفي تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على غيره من الشهور سر بديع ، وهو أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا ، واتقاء جهنم ، والمباعدة عنها ، خصوصاً إن ضم إلى ذلك أيام الليل .

وفي حديث معاذ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «الصدقة تطغىء

الخطيئة؟ كما يطفىء الماء النار ، وقيام الرجل من قيام الليل يعني أنه يطفىء الخطيئة .

وفي الصحيح : « اتقوا النار ولو بشق تمره » .

كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : « صلوا في ظلمة الليل لظلمة القبور ، وصوموا يوماً ما شديد آحره لحر يوم النشور ، وصدقوا بصدقة اشرف يوم هسير » .

ومنها : أن الصيام لا بد أن يقع فيه خلل ونقص ، والصدقة تجبر ما فيه من الخلل والنقص . ولهذا وجب في آخر رمضان صدقة الفطر طهرة للصائم ، من اللغو والرفث .

وفي حديث سلمان : « وهو شهر المواساة فمن لم يقدر فيه على درجة الإيثار على نفسه ، فلا يعجز عن درجة أهل المواساة » .

كان ابن عمر رضى الله عنه يصوم ولا يفطر إلا مع المساكين ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام فأعطاه السائل ، وجاء سائل إلى الإمام أحمد رحمه الله ، فدفع إليه رغيفين كان يدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائماً .

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً ، ويجلس يرووهم وهم يأكلون .

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلوى
وغيرها وهو صائم .

قال الشافعي : « أحب للرجل الزيادة بالجود في رمضان اقتداء
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ولتشاغل
كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم » .

كان السلف يتعاضون بنزع الغن على مناصحة النفوس ، فصارت
الآن عشرة العشرة على موافقة الهوى ، تمالوا على حب الدنيا ومالوا ،
فإذا فرت عن صديقهم أعرضوا عنه ومالوا ، فافتح بصر البصيرة فملى
هذا ترام ، ثم التفت عنهم وإياك وإياهم .

عباد الله : ما أشرف من أكرمه المولى الكريم ، وما أسمى من
خصه بالتشريف والتعظيم ، وما أقرب من أهله للفوز والتقديم ،
وما أجل من أثنى عليه العزيز الرحيم ، إن الأبرار لفي نعيم . وفقنا الله
لطريق أهل السعادة ، وجعلنا من الذين لهم الحسنى والزيادة . إنه
جواد كريم

فصل — ل

في فضل العشر الأواخر من رمضان المبارك

في صحيحين عن عائشة رضی الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر الأواخر سد ميزره وأحيا ليله وأيقظ أهله » .

وفي رواية لمسلم عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره » .

وروى عن أنس رضی الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهر رمضان قام ونام ، فإذا كان أربع وعشرين لم يذق غمضا » .

وخرج الطبراني من حديث علي : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة » .

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه كان يطرق فاطمة وعليا ليلا فيقول لهما : ألا تقومان فتصليان ، وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر » .

وفي الموطأ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « كان يصلي ماشاء
الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة ويقول :
الصلاة الصلاة ، ويتلو هذه الآية ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر
عليها ﴾ الآية .

وكانت امرأة حبيب أبو محمد تقول له بالليل : قد ذهب الليل
وبين أيدينا طريق ، وزادنا قليل ، وقوافل الصالحين قد صارت قدامنا
ونحن بقينا » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتطيب كل ليلة من
ليالى العشر الأواخر .

وفي حديث عائشة : « كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل رمضان
قام ونام ، وإذا دخل العشر الأواخر شد الميزر واعتزل النساء ، واغتسل
بين الأذنين » والمراد أذان المغرب والعشاء

عباد الله . إنما يتبين ربح العاملين يوم المعاد ، وفيه تظهر آثار
القرب والبعد ، فمن عمل خيراً وجد جزاءه محضراً ، ومن عمل سوءاً
لقى في كتابه مسطراً . كان صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل حتى
تورمت قدماه ، وكان يقرأ في ورده ودموعه تقع على الأرض كوكف
المطر هذا خوف الحبيب مع ما أعطى من شرف المقام .

فالمعجب !! كيف يطمئن قلب من أثقلت ظهره الآثام .

عباد الله ، اغتنموا الأيام والليالي الفاضلة ، وجدوا في الأعمال

الصالحة .

فصل

ومما كان يخص به صلى الله عليه وسلم العشر الأواخر : شد الميزر ، واختلفوا في تفسيره ، فمنهم من قال : هو كناية عن جده واجتهاده في العبادة ، كما يقال : فلان شد وسطه ، وسمى في كذا . ومنهم من قال : المراد اهتزاله النساء ، وبذلك فسره السلف والأئمة منهم الثوري . وورد تفسيره بأنه لم يأو إلى فراشه حتى ينسلخ رمضان وفي حديث أنس : « وطوى فراشه واعتزل النساء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر ، والاعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص والإجماع .

وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتطيب كل ليلة من ليالي العشر الأواخر . وكذلك السلف كانوا يغتسلون ويتطيبون اقتداءً بالنبى صلى الله عليه وسلم .

ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى
لليلة القدر .

وقال حماد بن سلمة : كان ثابت البناني ، وحמיד الطويل ، يلبسان
أحسن ثيابهما ، ويتطيبان ويطيبيان المسجد بالنضوخ والدخنة .

فتبين بهذا : أنه يستحب التنظيف ، والتزين ، والتطيب بالغسل ،
والطيب ، واللباس الحسن ، كما يشرع ذلك بالجمع والأعياد ، وكذلك
يشرع أخذ الزينة بالثياب في كل الصلوات . كما قال تعالى : ﴿ خذوا
زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما : « الله أحق أن يتزين له » . وروى
ذلك مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ولكن ليعلم العاقل ، أن ذلك التنظيف لا ينفى مع خراب الباطن ،
فإن تزيين الظاهر لا يكمل ولا يتم إلا بتزيين الباطن بالتوبة والإقامة
إلى الله تعالى ، وتطهيره من أدناس الذنوب وأوضارها ، فإن زينة
الظاهر مع خراب الباطن لا يجدي شيئاً ، بل ما يزيد من الله إلا بعداً .
قال تعالى : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُؤارى سَوَاتِكُمْ وريشاً
ولباس التقوى ذلك خير ﴾

إذا المرء لم يلبس لباساً من التقى تقلب هريانا وإن كان كاسيلاً

واعلم أنه لا يصلح لمناجاة الملوك في الخلوة، إلا من زين ظاهره
وباطنه وطهرهما، خصوصاً الملك الملوك الذي يعلم السر وأخفى، وهو
لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم،
فن وقف بين يديه فليزن ظاهره باللباس الظاهر، ويزين باطنه
بلباس التقوى.

فصل

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان مضمار السابقين، وغنمية
الصادقين فيه تضاعف الأعمال، وتحط الأوزار الثقال، وفيه يجاب
السؤال ويفقر للمستغفر ويقال، وفضائله فوق ما يقال، ثم فيه ليلة
القدر التي جعل الله عبادتها خيراً من عبادة ألف شهر، أخفاها الله
ليجتهد المؤمنون في سائر الشهر.

فسبعان من قرب أحبابه فوجدوا لذة المعاملة، فقلوبهم بذكره
حاضرة، وعيونهم بخدمته ساهرة، وأبدانهم من مخافته ناحلة، وقطع
المبعدين عن بابه، وأذلمهم بأليم حجابيه، فهممهم عن النهوض بالخيرات
متناقلة.

عجيباً لنفس تنكر الجزاء ما أعماها، أما أظهر الأدلة لها وجلاها،

من الذي مد الأرض ودحاها ، وابتعث النعام فسقاها ، وآية لهم
الأرض الميتة أحييناهما ، إله عظيم لم ينزل إلها ، ومملك كبير ملكه
لا يتناها ، يسمع صريف الأقلام ومجراها ، ولا يخفى عليه خافية ممن
أخفاها ، يقسم الأرزاق فما يترك ذرة ولا ينساها ، أحكم الأمور كلها
وأرضاها ، وعلى ما سبق علمه أمضاها ، سواء أسخط النفوس
أو أرضاها :

يامن يرى ما في الضمير ويسمع أذت المعد لكل ما يتوقع
يامن يرجى للشدائد كلها يامن إليه المشكي والفرع
يامن خزان رزقه في قول كن أمنن فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى قرعى لبابك حيلة فلتن رددت فأى باب أقرع
ومن الذي أذعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا فالفضل أجزل والمواهب أوسع

بكي يزيد الرقاشي عند موته ، فسئل عن بكائه قال : أبكى على
ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار .

فسبحان من وفق العاملين لخدمته ، ووعدهم جزيل الجزاء فتلد ذوا
بناجائه لما علموا أنه قريب سميع الدعاء .

واعلموا رحمكم الله . أن الله أمر ببر الوالدين ، وصلة الأرحام . قال

تعالى: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن
عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل
لهما قولا كريما﴾ .

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: « من أصبح مطيعا لله
في والديه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة ، وإن كان واحدا فواحدا ،
ومن أصبح عاصيا لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ، وإن
كان واحدا فواحدا » .

وروى أن موسى عليه السلام . « رأى رجلا عند العرش فنطيه
بمكانه فسأل عنه فقيل له : نخبرك بعمله . لا يحسد الناس على ما أتاهم
الله من فضله ، ولا يمشى بالنميمة ، ولا يعق والديه » .

فصل

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ،
ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وفيهما .
« من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وتبكيير الذنوب بصيام رمضان قد ورد شروطا بالتحفظ مما ينبغي

التحفظ منه ، كما في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان
فمرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي التحفظ منه ، كفر ذلك ما قبله » .

والجمهور ، على أن تكفير الذنوب إنما هو تكفير الصغائر دون
الكبائر ، لأن الكبائر لا تكفر إلا بالتوبة النصوح .

ويدل على ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى
رمضان ، مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .

فتبين بهذا ، أن تكفير هذه الأعمال مشروط باجتناّب الكبائر ،
فمن لم يجتنّب الكبائر لم تكفر له هذه الأعمال ، كبيرة ولا صغيرة .
وأما الكبائر ، فلا تكفر إلا بالتوبة النصوح ، لأن التوبة شرط
لتكفير الكبائر .

قال سليمان بن عبد الله لأبي حازم : « أى الأعمال أفضل ؟ قال :
أداء الفرائض ، واجتناب المحارم . قال : فأى الصدقات أزكى ؟ قال جهد
المقل بلا من ولا أذى . قال : فأى الناس أهدل ؟ قال : من يقول كلمة
حق عند من يخافه . قال : فأى الناس أعدل ؟ قال : من عمل بطاعة
الله تعالى ودل الناس عليها . قال : فأى الناس أجهد ؟ قال : من باع

آخرته بدنيا غيره . قال : عظمي وأوجز . قال : نزه ربك وعظمه ، إن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك .

فبكى أمير المؤمنين سليمان فقال رجل من جلسائه : لقد أسأت إلى أمير المؤمنين . فقال له أبو حازم : اسكت ، فإن الله أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه .

خطب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه آخر خطبة خطبها فقال فيها : « أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثا . ولن تتركوا سدى ، وإن لكم مما إذا ينزل الله للفصل بين عباده ، فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، ألا ترون أنكم في أسلاب المهالكين ، وسيرتها بكم الباقون ، كما تركها الماضون ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، وفي كل يوم تشيعون غاديا إلى الله ورائحا قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسى ولا محمد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب وسكن القراب ، وواجه الحساب غنيا عما خلف فقيرا إلى ما أسلف .

فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقبته ، وإني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ،

ولكني أستغفر الله وأتوب إليه . ثم رفع طرف ردهائه وبكى حتى شفق ، ثم نزل عن المنبر فما عاد بمدّها حتى مات رحمة الله عليه .

فصل

وأما صيام رمضان وقيامه ، فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر ، فإذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه ، كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يغفر لهم في آخر ليلة . قيل يا رسول الله : أهي ليلة القدر ؟ قال : لا ، ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله » .

عباد الله ، إن الفرح بفضل الله ورحمته هو السرور ، وإن الفرح بالخطو والمجاهلة هو الغرور ، فاشكروا نعمة الله تعالى على ما يسر لكم من صيام رمضان ، وأعطاكم من نعمة الإيمان ، وودعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير ، والعزم على دوام الجِدِّ والتشمير ، فإن رمضان قد تهيأ للرحيل ، ولم يبق منه إلا القليل ، فلقد كان للمتقين روضة وأنسا ، وللغافلين قيذاً وحبساً ، كان نزهة للأبرار ، وقيداً للأشرار .

أي شهر قد تولى ، يا عباد الله هنا حق أن نبكي بدماء لو عقنا

كيف لا نبكي لشهر مَرَّ بالغفلة عنا كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهو
 حسناً ، فاجعل اللهم عقباء لنا نوراً وحسناً ، فكم متأهب ليوم فطره
 فيصبح يوم العيد في قبره قد فارق الإخوان ، وعدم الخلان ، أين الذين
 كانوا معكم في عيدكم الماضي ذهبوا ؟ وأين الذين في مثل هذا العيد
 فرحوا ؟ أملوا أملاً شديداً ، وتوهموا البقاء فبنوا مشيداً ، اختطفهم
 ريب المنون فأبلى منهم ما كان جديداً ، لله درأ قوم أنسوا بـرمضان
 والصيام ، وهجروا بالليل لذيق المنام ، وانشرحت صدورهم بالتراويح
 والقيام ، وتلاوة القرآن ومناجاة الملك العلام ، وياخسارة من فرط
 بالتوبة والإجابة ، ورد عن أبواب الإجابة ، فازداد بـرمضان وزراً على
 وزره ، واكتسب بأيامه خسراً على خسره .

فالسعيد في يوم العيد من يتذكر الوعد والوعيد ، ويطلب من
 مولاه المزيد ، فهو يوم يتفضل فيه الملك المجيد ، بعتو الإمام والعبيد .

قال الزهري : « إذا كان يوم الفطر ، وخرج الناس إلى الجبان ،
 اطلع الله عليهم فقال : لى صتم ، ولى قتم ، ارجعوا مغفوراً لكم » فمن
 وقى ما عليه كاملاً ، وقى له الأجر كاملاً ، ومن نقص من العمل الذي
 عليه نقص من الأجر بحسب نقصه ، فلا يلم إلا نفسه ، غدا توفي

النفوس ما كسبت ، ويحصد الزارعون ما زرعوا ، إن أحسنوا
أحسنوا لأنفسهم ، وإن أساءوا فبئس ما عملوا .

فصل

واعلموا رحمكم الله ، أن السلف الصالح كانوا يجتهدون في إتمام
العمل وإكماله وإتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده
وهؤلاء الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة .

وروى عن علي رضي الله عنه قال : « كونوا لقبول العمل أشد
اهتماما منكم بالعمل ، ألم تسمعو الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ
الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال بعض السلف : كانوا يدهون الله ستة أشهر أن يبلغهم
رمضان ، ثم يدهون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم .

وعن الحسن قال : « إن الله جعل رمضان خلقه يستبقون فيه
بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون
فخابوا » .

روى عن علي رضي الله عنه : « أنه كان ينادى في آخر ليلة من

شهر رمضان : ياليت شعري من هذا المقبول فمهنيه ، ومن هذا المحروم
فنعزيه ؟ أيها المقبول هنيئًا لك ، أيها المردود جبر الله مصيبتك .

وحافظوا عباد الله على الصلاة وإكمالها وإتقانها وأدائها في المسجد
مع الجماعة ، فقد حث صلى الله عليه وسلم على الصلاة .

وقد روى مسلم وأبو داود وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه
قال : « من سره أن يلقى الله غدا مسلما فليحافظ على هذه الصلوات
الخميس حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم
سنن الهدى وأنها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم
كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم
سنة نبيكم لضلتم ، ولقد رأيتنا ، وما يتخلف عنها إلا منافق ،
معلوم النفاق ، أو مريض .

ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف
- يعنى يتكىء عليهما من ضعفه - حرصا على فضل الصلاة ، وخوفا من
الإثم في تركها .

وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته ، فإن صلحت

فقد أفجح ، وأنجح ، وإن فسدت ، فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب تبارك وتعالى : انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ؟ ثم يكون سائر عمله على ذلك . وفي رواية : « ثم الزكاة مثل ذلك ، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك » رواه أبو داود .

ويا عباد الله : أكثروا من ذكر الله والاستغفار ، ولازموا طاعة ربكم بالليل والنهار ، وصوموا ستة أيام ، من شوال يكتب لكم صيام السنة على الكمال .

فصل

واعلموا رحمكم الله أنه لما كانت المغفرة والعتق من النار ، كل منهما مرتب على صيام رمضان وقيامه ، أمر الله سبحانه وتعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره ، فقال تعالى : ﴿ وَاتَّكِمُوا الْعِدَّةَ وَاتَّكَبَرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

فشكر من أنعم على عباده بالصيام والقيام وإحاطته عليهما ومغفرته لهم بهما ، وعتقهم من النار ، أن يذكروه ، ويشكروه ، ويتقوه حق تقاته .

وقد فسر ابن مسعود تقواه حق تقائه : بأن يطاع فلا يعصى ،
ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر ، ويستحب الإكثار من ذكر
الله ليلى العيدين ، والجهر به في البيوت ، والأمواق ، والمساجد ،
وغير ذلك . ووقته من رؤية هلال العيد إلى فراغ الإمام من الخطبة
وصفته شفعا : « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، والله أكبر الله
أكبر والله الحمد » ويسن رفع الصوت بذلك للرجال اقتداء بالنبي
صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لأنهم يفعلون ذلك .

وفي حديث ابن عباس مرفوعا : « إذا كان يوم الفطر هبطت
الملائكة إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت
يسمعه جميع من خلق الله إلا الإنس والجن ويقولون : يا أمة محمد:
اخرجوا إلى رب كريم يعطى الجزيل ، ويغفر الذنب العظيم ، فإذا
برزوا إلى مصلاهم يقول الله للملائكة : يا ملائكتي ، ما جزاء الأجير
إذا عمل عمله ؟ فيقولون : إلهنا وسيدنا أن توفيه أجره . فيقول : إني
أشهدكم إني جعلت ثوابهم من صيامهم ، وقيامهم رضائي ، ومغفرتي ،
انصرفوا مغفورا لكم » خرجه مسلم وابن شبيب .

يا من يبيت على اللذات متكفا الموت يأتيك والآفات تنتظر
لا تحقرن يسير الخير تفعله فرب نفع لشيء وهو يخقر

وجانب الشر لا تسلك طريقته
فكل نفس ستجزى بالذي فعلت
تأتي الجلود وأيدينا وأرجلنا
فليت شعري من كانت جوارحه
ولا يكن لك في أصحابه أثر
وليس للخلق من ديانهم وزر
فيشهدون معا والسمع والبصر
هي الشهود عليه كيف يقتدر
أم أين يهرب أم ماذا يقول وهل
يطيق دفعا لها أم كيف ينتصر

عباد الله : كم بين من حظه فيه القبول والغفران ؟ ومن حظه
فيه الخيبة والحسرة ، ماذا فات من فاته خير رمضان ؟ وأي شيء
أدرك من أدرك فيه الحرمان ؟

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا
عذاب النار .

اللهم عافنا واعف عنا ، يامقلب القلوب ، ثبت قلوبنا على دينك .
اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فصل

في فضل اتباع رمضان بصيام ستة أيام من شوال

روى مسلم في صحيحه عن أبي أيوب رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال ، كان كصيام الدهر » . واستحب صيام ستة أيام من شوال أكثر العلماء .

روى ذلك عن ابن عباس وطاوس والشعبي وميمون بن مهران وهو قول ابن المبارك رحمه الله والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وأكثر العلماء على أنه يستحب صيامها متتابعة أول الشهر ثانياً الفطر .

وقد روى في ذلك حديث مرفوع : « من صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة ، فكأنما صام السنة » خرج الطبراني وغيره .

وفي حديث مهران بن حصين رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه قال لرجل : إذا أفطرت فصم ، وإنما كان صيام رمضان واتباعه بست من شوال بعد صيام الدهر ، لأن الحسنة بعشر أمثالها » .

وقد جاء ذلك مفسراً من حديث ثوبان رضى الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صيام رمضان بعشرة أشهر ،
وصيام ستة أيام بشهرين ، فذلك صيام السنة » يعني صيام رمضان وستة
أيام بعده » خرجه الإمام أحمد والنسائي وهذا لفظه . وخرجه ابن حبان
في صحيحه وصححه أبو حاتم الرازي .

وقال الإمام أحمد : ليس في أحاديث الباب أصح منه ، ولا فرق
في ذلك بين أن يكون رمضان ثلاثين أو تسعا وعشرين ، وعلى هذا
حمل بعضهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « شهر أعيدي لا يتقصان :
رمضان وذو الحجة » وقال : المراد كمال أجره سواء كان ثلاثين
أو تسعا وعشرين ، وأنه إذا أتبع بستة أيام من شوال ، فإنه يعدل
صيام الدهر على كل حال .

فبادروا عباد الله زمن الصحة بصيام ستة أيام واجتهدوا في هذه
الليالي والأيام .

وروى عن ابن عباس رضی الله عنهما مرفوعا : « الصائم بعد
رمضان كالكار بعد الفار » .

فيا عباد الله : انتهزوا الفرصة في المبادرة بصالح الأعمال ، واحذروا
المعاصي فإنها ، ووجبة للخسران والإذلال ، ولا تبطلوا ما أملفتم في شهر
الصيام من صالح الأعمال ، ولا تمكثوا ما صفا لكم فيه من الأوقات
والأحوال ، ولا تغيروا ما عذب لكم فيه من لذة المناجاة والإقبال .

فصل

وفي معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة منها :

أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق .

ومنها : أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الراحية قبل الصلاة المفروضة وبمدها ، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من الخلل والنقص ، فإن الفرائض تكمل بالنوافل يوم القيامة .

كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وأكثر الناس في صومه « الفرض نقص وخلل فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال الصالحة » .

ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل : صمت رمضان كله ، أو قمته كله . قال الصحابي : فلا أدري أكره التزكية أم لا بد من غفلة ؟

ويا عباد الله : أكثروا من ذكر الله والتسبيح والاستغفار .

ففي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الكلام أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

وروى مسلم أيضاً عن أبي مالك الأشعري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الظهور شرط الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله ، تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » .

وروى البخاري عن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها من النهار موقناً بها فمات قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة » .

وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً » .

عباد الله : إن من آثر الشهوات أوردته الهلكات ، ومن أدخل جوفه الحرام مات ، ومن اتقاد للهوى هوى به في هوات ، ومن أطاع الشيطان قاده إلى المخاذى والمذلات .

فصل

ومن فوائد معاودة للصيام بعد صيام رمضان قبول صوم رمضان ، فإن الله سبحانه وتعالى إذا تقبل عمل عبده وفقه لعمل صالح بعده ، كما قال بعضهم : من ثواب الحسنة ، الحسنة بعدها ، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها ، كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى ، كما أن من عمل حسنة ، ثم أتبعها بسيئة ، كان ذلك علامة على رد الحسنة وعدم قبولها .

ومنها : أن صيام رمضان موجبا مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره ، وأن الصائمين لرمضان يستوفون أجورهم يوم الفطر ، وهو يوم الجوائز ، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكراً لهذه النعمة ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له :

(٥ - فضائل شهر رمضان)

أفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول :
« أفلاً كون عبداً شكوراً » ؟ .

وقد أمر الله بشكر نعمة صيام رمضان فقال تعالى : ﴿ ولتكملوا
العدة ولتكبروا لله على ما هداكم ولعلمكم تشكرون ﴾ فن شكر
العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانتة عليه ومغفرة ذنوبه أنه
يصوم عقب ذلك شكراً .

إذا أنت لم تزد على كل نعمة ، لموليكم شكر آفست بشاكر ،
كل نعمة على العبد من الله في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها
وهكذا أبداً ، فأما مقابلة نعمة التوفيق لصيام رمضان بارتكاب المعاصي
بعده ، فهو من فعل مَنْ بَدَّلَ نعمة الله كفرآ ، فإذا كان عزم على
معاودة المعاصي بعد انقضاء رمضان ، فصيامه عليه مردود ، وباب الرحمة
في وجهه مسدود .

عباد الله : إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً ، وأحزمكم
أكثركم له استعداداً ، ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار
الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والنزود لسكنى القبور ، والتأهب
ليوم النشور .

في الصحيحين عن أبي قتادة رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه مر عليه بجنزة فقال : مستريح أو مستراح منه . قالوا : يارسول الله ، ما المستريح والمستراح منه ؟ فقال : العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلي رحمة الله ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ، فإن الفاجر يبغضه الله فتأذي به الأرض ومن فيها » .

فصل

ومن فوائد الصيام بعد رمضان : أن الأعمال التي كان يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان ، بل هي باقية بعد انقضائه مادام العبد حيا .

وهذا معنى الحديث المتقدم ، أن الصائم بعد رمضان كالكارع بعد الفار ، يعنى الذى يفر فى سبيل الله عن القتال ، ثم يعود إليه ، وذلك لأن كثيرآ من الناس يفرح بانقضاء رمضان وخروجه لاستئصال الصيام وملاؤه وطوله عليه ، ومن كان كذلك لا يعود إلى الصيام سريةآ والعائد إلى الصيام يدل عوده على رغبته بالصيام ، وأنه لم يله ولم يستثقله ولا تذكره به .

وفي حديث خرجه الترمذي مرفوعا : « أحب الأعمال إلى الله ،
الحال المرتحل » ، وفسر بصاحب القرآن يضرب من أوله إلى آخره
كما حل ارتحل ، وفي المعنى والله أعلم قيل لبشر : إن قوما يتعبدون
ويجتهدون في رمضان . فقال : بشئ القوم قوم لا يعرفون لله حقا إلا
في رمضان ، إن الصالح الذي يتعبد ويجتهد السنة كلها وكان النبي
صلى الله عليه وسلم ممله دعه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن
قل » .

وفي حديث أبي هريرة : « يقول الله تعالى : وما تقرب إلى عبدي
بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى
بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره
الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني
لأعطينه ، ولئن استعاذني لأهيئنه » .

فيا عباد الله ، حافظوا على الطاعات ، ولازموا حضور الجمع
والجماعات ، واحرصوا على إكمال الصلاة ، بشروطها وأركانها
والمستحبات .

ففي البخاري : « أذخيفة رضى الله عنه رأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده ، فلما قضى صلاته دعاه فقال : ما صليت ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمد صلى الله عليه وسلم » .

وروى أحمد عن أبي قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها » .

ومن إكمال الصلاة تسوية صفوفها . قال : صلى الله عليه وسلم « سورا صفوفكم ، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة » .

فاتقوا الله عباد الله ، وانظروا فى صلاتكم وصلاة من يصلى معكم . قال صلى الله عليه وسلم : « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه فتعليم الجاهل فريضة واجب لازم ، والتارك لذلك مخطيء آثم » .

فصل

واعلموا رحمكم الله : أن عمل المؤمن لا ينقضى حتى يأتيه أجله
قال الحسن : « إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ، ثم قرأ :
﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ .

فهذه الشهور والأعوام والليالي والأيام كلها مقادير للأجال ،
ومواقيت للأعمال ، ثم تنقضى سريعا ، وتغضى جميعا ، والذي أوجدها
وابتدعها ، وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول ، ودائم لا يحول ،
هو في جميع الأوقات إله واحد ، ولأعمال عباده رقيب مشاهد .

لما انقضت الأشهر الثلاثة الكرام ، التي أولها الشهر الحرام ،
وآخرها شهر الصيام ، أقبلت بعدها أشهر الحج إلى بيت الله الحرام ،
فكفا أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه ، فن حج
البيت ، فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه ، كيوم ولدته أمه كل
وقت يخليه العبد من طاعة الله فقد خسره ، وكل ساعة يغفل فيها عن
ذكر الله تكون عليه تره .

واعلموا رحمكم الله : أن الصلاة آخر وصية رسول الله صلى الله

عليه وسلم حين خروجه من الدنيا جعل يقول : « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أفاق من غشيته وهو فى سياق الموت يقول : « أصلى الناس؟ قالوا : نعم . قال : لاحظ فى الإسلام لمن ترك الصلاة » ثم دعا بقاء فتوصلاً وصلى .

فأحسنوا رحمكم الله صلواتكم وتمسكوا بها ، وإياكم ومسابقة الإمام فيها فأتموا ركوعها وسجودها ، وعدلوا صفوفها ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يلفت يميناً وشمالاً ويقول : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » .

وعليكم عباد الله بإصلاح السرائر ، فإنه لا ينفع مع فسادهما صلاح ظاهر ، من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى ، وعلامة ردها أن يصل تلك الطاعة بمصيبة .

سلوا الله الثبات على الطاعات إلى المات ، وتموذوا بالله من تقلب القلوب ، ومن الجور بعد الكور ، فإن من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » .

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ . . .

فصل

فإن قال قائل : فلو صام صائم هذه الستة الأيام من غير شوال
لحصل له هذا الفضل ، فكيف خص صيامها من شوال ؟

قيل : صيامها من شوال ياتحق بصيام رمضان في الفضل ، فيكون
له أجر صيام الدهر فرضاً ، ذكر ذلك ابن المبارك وذكر أنه في بعض
الحديث حكاه عنه الترمذي في جامعه ؟ ولعله أشار إلى ما روى عن أم
سامة رضي الله عنها : « أن من صام الغد من يوم الفطر ، فكأنما صام
رمضان » .

فيا شباب : التوبة ، لا ترجعوا إلى ارتضاع ثدى الهوى بعد
القطام ، من ترك شيئاً لله لم يحدفقه وعوضه الله خيراً منه ﴿ إن يعلم
الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويفقر لکم ﴾ .

وفي الحديث : « النظر سهم مسموم من سهام إبليس من تركه
من خوف الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه » خرجه الإمام
أحمد ، وهذا خطاب للشباب .

فأما الشيخ إذا عاود المعاصي بعد انقضاء رمضان فهو أفتح وأفتح ،

لأن الشاب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره وهو مخاطر ، فإن الموت
 قد يماجله وقد يطره بنقطة ، فأما الشيخ فقد شارف مركبه ساحل
 المنون فاذا يؤمل ؟

فكن مستعداً لداعي الفنا فكل الذي هو آت قريب

عباد الله : جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 « الصلاة عمود الإسلام » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ،
 وآخر ما تفقدون الصلاة » .

ولاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ، فكل مستخف بالصلاة
 فهو مستخف بالإسلام ، وعليكم عباد الله بالصدق

ففي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم
 بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، ولا
 يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً .
 وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وأن
 الفجور يهدي إلى النار ، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب
 حتى يكتب عند الله كذاباً » .

واعلموا أن الدنيا دار تكليف لا منزل راحات، فاحذروا لذاتها
فإنها مسمومات، كان العارفون يقنعون فيها بأدنى الكفايات، ماضهم
مامضى وفات، وقد عوضوا رضا ربهم والجنات .

لقد عاشوا بالذكر الجميل بعد الممات ، وأسماءهم مشهورة في
السموات ، وغدا تتلقاهم الأملاك بالتحيات والبشارات .

فنسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم ، ومقربا إليه
وإلى دار النعيم المقيم .

اللهم اجعلنا بطاعتك عامين ، وعلى ما يرضيك مقبلين ، واغفر لنا
ولو لدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم هذا الكتاب بقلم جامعه ومعلمه إبراهيم بن عبدالعزيز الفريتر
غفر الله له ولوالديه ولشايخه وإخوانه المسلمين آمين .

اللهم صل وسلم على سيدنا ونبينا محمد .

وظائف العشر الأواخر

من رمضان المبارك

عشرة فصول ، لكل ليلة فصل

الفصل الأول

في فضل العشر الأواخر من رمضان

الحمد لله الذي أوضح سبيل هدايته لأرباب ولايته وأبهج . وحرك
أهل عبادته إلى معاملته وأزعج : وأبدا بدائع قدرته في محكم صنعته
وأخرج ، وأوقد نيران محبته في أفئدة أحبته وأجيج . من عرف لطفه
ثنى عطفه إليه وأدليج . ومن خاف عتبه ترك ذنبه وتخرج . يجب
الإخلاص في الأعمال ولا يخفى عليه البهرج . حلیم فإن غضب مكر
بالعبد واستدرج . لا تنتر بجمه فكتم عقاب في الحلم أدرج . لا يخفى
عليه ضمير القاب في سواد الليل ولا طرف أدهج . يبصر جرير اللبن
يسرى في العروق نحو المخرج وينزل إلى السماء الدنيا فأين الذي بالمنجاة
والاستغفار يلهج . فيستعرض الحوايج إلى أن يلوح الفجر ويتبلج .
ورد بذلك النقل ومن عرف رىء الحق أبلج . هذا مذهب من القرآن
القديم والنقل القويم مستخرج ، وهو المنهاج السليم فلا تخرج عن
المنهج أحمد . على ما أسر وأزعج . وأشهد بوحدانيته شهادة موقن

ما تلجلج وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الذي محاسن
 الشريفة في شريعته تدرج . صلى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكر أول
 من أنفق ماله وأخرج . وعلى عمر الذي اضطركسرى إلى الهرب
 وأخرج . وعلى عثمان المظلوم وقد عدل وما عدل ولا عرج . وعلى
 عليّ مبيد الطغاة فلم يكن لهم من مهرب ولا مخرج . وعلى سائر آله
 وأصحابه الذين نصر الله بهم الدين وأبهج . وسلم تسليماً . عباد الله إن
 عشركم هذا هو العشر الأخيرة . وفيه الخيرات والأجور الكثيرة .
 تكمل فيه الفضائل . وتم فيه المفاخر . ويطلع على عباده الرب العظيم
 القادر . ويثيهم الثواب الجزيل والحظ الوافر . كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يسهر ليله . ويحمل كاهه ويقوم الليل كله . فالسعيد من
 أكرمه وأجله . والبعيد من أهانه واستقله . وقد روى عنه صلى الله
 عليه وسلم تعظيم هذا العشر على باقى الدهر ، كان صلى الله عليه وسلم
 يخصه بالاعتكاف والقيام إذا دخل العشر شد منزره وأحيا ليله وأيقظ
 أهله وكان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فإذا دخل
 العشر لم يذق غمضاً . كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر طوى فراشه
 واعتزل نساءه . كان يخص العشر بالاعتكاف والاعتكاف بين العشاء

هو التنظيف والتطيب وإحياء الليل. فبادروا عباد الله بالتوبة والاستغفار
 والابتغال. إلى ذي الجلال والأفضال. في الصحيحين عن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل ربنا تبارك
 وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من
 يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» وروى
 مسلم عن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 «إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه
 إياه وذلك كل ليلة» وقال صلى الله عليه وسلم «أقرب ما يكون الرب من
 العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر
 الله تلك الساعة فكن» وقال صلى الله عليه وسلم «إن في الجنة غرفاً يرى
 ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها أعدّها الله لمن ألان الكلام
 وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام، يامسكين متى
 تكون من الذين عاملوا مولاكم وانفردوا. وقاموا في الدجى فركعوا
 وسجدوا. وقاموا إلى بابه في الأسحار ووفدوا. وصاموا هواجر
 النهار وصابروا واجتهدوا. ولقد ساروا وخلفت وفاتك ما وجدوا.
 أين أنت من قوم إذا تليذ الغافلون بالنوم تليذوا بقيام الأسحار.
 فسيكرمهم الكريم إذا وفدوا عليه يوم المذار. ولو شاهدتهم إذا
 صاروا فزاروا الملك الجبار. والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

سلام عليكم بما صبرتم فندم عقبي الدار ، عن معاذ رضى الله عنه قال :
« قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني من النار . قال :
لقد سألت عن عظيم وأنه ليسر على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك
به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت .
ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة
كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا (تتجافى
جنوبهم عن المضاجع) حتى بلغ (يعملون) ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر
وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام
وعموده الصلاة وذروة سنامه ؟ الجهاد ثم قال : ألا أخبرك بملك ذلك
كله ؟ قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال : كف عليك هذا . فقلت :
يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما تتكلم به ؟ قال تكلمت أمك وهل يكب
الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » وروى البيهقي عن
ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشرف أمتي حمله
القرآن وأصحاب الليل » فأول ما يؤمر به العبد بالإخلاص في قراءته
وأن يريد بها الله سبحانه وتعالى ويتأوب مع القرآن ويستحضر في
ذهنه أنه يناجي الله سبحانه على حال من يرى الله ، فإن لم يره فإن الله
سبحانه يراه . وينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع . والتدبر
والخضوع . ويستحب البكاء فإنه صفة العارفين وشعار عباد الله

الصالحين قال الله تعالى (ويخرون الأذقان يبكون ويزيدم خشوعاً) .
واعلموا رحمكم الله أن هذا العشر قد أوجب الله عليكم تعظيمه
واحترامه . وأجزل الثواب لمن صلى ليله وقامه . هذا عشر نحو
الذنوب . هذا عشر حياة القلوب . هذا وقت تلاوة الكتاب . وعمارة
الحراب . فالفضائل في هذا العشر كثيرة . والمصالح وافرة
غزيرة . فالسعيد من قبل وعمل . والشقي من طرد وخذل . ومن
الفضائل ففيه إطعام الطعام . وتفطير الصوام . فإنه ورد عن خير الأنام -
« من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبة من النار » فياعباد
الله أكثروا من ذكر الله والصلاة . وتلاوة القرآن والصدقات ففي
الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال «سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل وشاب نشأ
في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تمحبا إلى الله
اجتماعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقالت :
إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق
يمينه ، ورجل ذكر الله خليا ففاضت عيناه »

اللهم أسلك بنا سبيل الأبرار ، وامن علينا بالعبو والعتق من
النار ، واحفظنا عن المعاصي فيما بقي من الأعمار . وآتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
الأحياء منهم والميتين . برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل الثاني

بالاجتهاد بالعمل في العشر الاواخر من رمضان

الحمد لله خالق الخلق كلهم من تراب . وفارق ما بينهم في المعاني والآداب . رفع عن أبصار بصائر الأولياء الحجاب . وأشهدم ما خفي عن غيرهم وغاب ، فهم على باب الدلالة للخلق على الباب . أولئك الذين هداهم الله وأوتيتهم أولو الألباب . وشغل الجهار الطعام بالطعام والشراب . فهم من جمع الحطام بين الحمى ، والذهاب يعمرون بالشهوات أجسامهم والقلوب في خراب . وما أبيض لهم عارض حتى اسود الكتاب فإذا عاينوا تفريطهم عند الموت بان المرتاب ، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . أحمده على كل ما عوض وناب وأقر بوحدانيته من غير شك ولا ارتياب . وأصلى على رسوله محمد الذي عرج به فكان قاب . صلى الله عليه وعلى أبي بكر السابق إلى الفضائل ولأسبق القرب . وعلى المعادل عمر بن الخطاب . وعلى عثمان منفق المال على الإسلام بغير حساب . وعلى ابن عمه وزوج بضمته على لب اللباب . وسلم تسليما .

عباد الله إن عشر رمضان قد نزل بركاته إليكم . وأشرف بفضله وشرفه عليكم . فأعدوا لقدمه عدة . وسلوا الله فيه التوفيق إلى أنه

تكملوا العدة ، ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ينزل ربنا تبارك
 وتعالى إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر ، وذلك كل ليلة فيقول هل
 من تائب هل من سائل هل من مستغفر » وفي الحديث : إن « الحور
 تنادى في شهر رمضان هل من خاطب إلى الله فيزوجه مهور الحور
 طول التهجد » وهو حاصل في هذا الشهر أكثر من غيره . عباد الله
 قد ذهب عنكم أكثر شهر رمضان . وأنتم اليوم في العشر الحسان ،
 وهذه عشر الأعتاق من النيران . لمن ترك الذنوب واستحيا من رقيه .
 يقول الله سبحانه وتعالى « الصوم لى وأنا أجزى به » . عشر فيه الأجاب
 بالدعاء يمجون . وبالتضرع في جميع أوقاته يضحون . وفي دياجيه للمولى
 الكريم يناجون ، واحذروا غيبة الناس فإنها تحبط الأجر ، وجانبوا كل
 الحرام فإنه سبب الطرد والهجر . وعظموا عشركم فإنه عظيم الأجر .
 وانظروا فيه بحسن اليقظة لليلة القدر . فإنها غريبة غريبة وعجيبة
 عجيبة . واجتهدوا فيه رحمكم الله بالصلاة والقيام . فإذا سلم رمضان
 سلم جميع العام . عساه يقيمك شر الوقوف على الأقدام . يوم يفر الرء
 من أخيه والنسيب من نسبه . الصوم لى وأنا أجزى به . وتأملوا
 كتاب الله المجيد . وما فيه من الوعد والوعيد . فقد كان أمير المؤمنين
 عمر بن الخطاب يمر بالآية في ورده فتحنقه العبرة فيبكي حتى يسقط ،
 ويلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضا ، وكان يسمع حنينه من وراء

ثلاثة صفوف ، وكان رضى الله عنه يطوف على بيوت الأرامل والضعفاء
ويقول : من كل محتاجاً فليأتنا . وكان أشد الناس في أمر الله لا تأخذه
لومة لأثم وكان رضى الله عنه يحمل جراب الدقيق على ظهره للأرامل
والأيتام . فقال بعضهم : دعنى أحمل عنك يا أمير المؤمنين . فقال : ومن
يحمل عنى ذنوبى يوم القيامة . قال كعب : إذا وضع العبد الصالح فى
قبرة احتوشته أهاله الصالحة فتجىء ملائكة العذاب من قبل رجليه
فتقول الصلاة : إليكم عنه لا سبيل لكم عليه فقد أطال القيام لله
عز وجل ، فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لا سبيل لكم عليه ،
فلقد أطال ظمأه فى دار الدنيا . فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج
والجهاد : إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه ، فيأتونه من قبل
يديه فتقول الصدقة : كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من
هاتين اليدين حتى وقعت فى يد الله عز وجل . فيقال له نم هنيئاً فقد
طبت حيا وميتاً وتأنيه ملائكة الرحمة فتفرشه فراشاً من الجنة ودياراً
من الجنة ويفسح له فى قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء
بنوره إلى يوم القيامة . قال الحسن رحمه الله : دركنا أقواماً ما كانوا
يردون السائل إلا بشيء ، ولقد كان الرجل منهم يخرج من بيته فيأمر
أهله ألا يردوا سائلاً . وكان على بن الحسين إذا أتاه السائل قال :
مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة . كم بينك وبين الموصوفين . كما بين

للمجهولين والمعروفين . أثرت الدنيا وأثروا الدين ، فتلح تفاوت الأمر
 بامسكين . أما الفقير فلا يخطر ببالك . وإذا جاء سائل غلظت له في
 مقالك . فإن أعطيته فحقير أيسير من مالك . فبادروا عباد الله بإخراج
 الزكاة إلى الفقراء والمساكين والقرابات . وتنقوا الأجود للفقير فإن
 الذي تعطونه هو الذي تجدونهُ يوم القيامة قال النبي صلى الله عليه وسلم
 « أياكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا يا رسول الله ما منا أحد إلا
 حاله أحب إليه . قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » رواه البخاري .
 واعلموا رحمكم الله أن الزكاة أحد أركان الإسلام قال صلى الله عليه وسلم
 « بنى الإسلام على خمس » فذكر أحد هذه الزكاة . وقد توعد الله مانعها
 بالعذاب الأليم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما من صاحب ذهب ولا فضة
 لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ،
 فأحى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت
 أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد ،
 غيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وأعطوا الفقير بانشرح صدر
 ولطف وحسن خلق ولا تبطلوا صدقاتكم بالبن والأذى ، من أخرج
 الله شيئاً فليكن من أطيب ماله وليوقن بمضاعفة الأجر والثواب .
 واعلموا رحمكم الله أن كل ساعة تمر على ابن آدم فإنه يمكن أن تكون
 ساعة موته . قال بعض السلف : أصبحوا نائبين وأمسوا نائبين فإن ابن آدم

لا يدري متى يفجأه الموت ليلاً أو نهاراً صباحاً أو مساءً . قال الله تعالى
(ومن لم يتب فأوائك هم الظالمون) والتوبة ليست قولاً باللسان
ولكن لها شروط وأركان: الأول الإقلاع عن المعصية ، والثاني الندم
على فعلها ، والثالث العزم على ألا يعود إليها أبداً ، وإن كانت المعصية
تتعلق بآدمي فلها شرط رابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مظلمة
من مال ونحوه أداه إليه ، ومتى قصر في قضاء دين أورد مظلمة دل على
ضعف التوبة .

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها . ونعوذ بك من المعصية
وأسبابها وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها . بالروح والريحان إلى
الجنة ونعيمها ، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم . في جنات النعيم .
مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ،
واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات برحمتك
يا أرحم الراحمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

الفصل الثالث

في فضل ليلة ثلاث وعشرين

الحمد لله اللطيف الرؤوف العظيم المذنان . الكريم القديم الديان .
العليم القدير السلطان . الحكيم الرحيم الرحمن . الأول فلا سابق
لسبقه المذموم فما قام مخلوق بحقه . المولى بفضله على سائر خلقه .
بشرائف المنح على توالي الزمن جل عن شريك وولد . وعن الاحتياج
إلى أحد . وتقدس عن نظير وانفراد يعلم ما يكون وأوجد ما كان .
أوجد المخلوقات بحكمته وصنعها . وفق الأشياء بقدرته وجمعها . ودحى
الأرض على الماء ووضعها . والسماء رفعها . ووضع الميزان يضر وينذل
ويفقر ويفني . ويسعد ويشقى ويضنى ويبقى . ويشين ويزين .
وينقض ويبني . كل يوم هو في شأن . قدر الأمور فلا راد لحكمه ،
وعلم سر العبد وباطن عزمه . وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه .
ولا ينقل قدم من مكان إلى مكان . مد الأرض فأوسمها بقدرته .
وأجرى فيها أنهارا بلطيف صنعته ، وصبغ ألوان نباتها بحكمته . فهل
يقدر أحد على صبغ تلك الألوان ثبثها بالجبال الراسيات في نواحيها .
وأرسل السحاب بماء يحيمها وقضى بالفناء على جميع ساكنيها . فكل

من عليها فان . من خدمه طامعا في فضله نال ، ومن لجأ إليه في رفع كربه زال . ومن عامله وجدده وقد قال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) إليه يثيب عياده ويعاقب . ويهب الفضائل ويمنح المواهب بالفوز للمتقى والعز للمراقب . (ولمن خاف مقام ربه جنتان) . أنعم على هذه الخليفة بتمام إحسانه . وعاد عليهم بفضله وامتنانه . وجعل عشرينا هذا مخصوصا بمعيم غفرانه . أعنى عشر رمضان ، أحده على ما خصنا به من الصيام والقيام وأشكره على تمام الفضل وسبوغ الإنعام . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا تحيط به العقول ولا تدركه الأوهام . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبده ورسوله المخصوص بشريعة الإسلام . وأفضل خلقه وتربيته المقدم على الأنبياء ببقاء معجزته . الذي انشق ليلة ولادته الإيوان . صلى الله عليه وعلى أبي بكر رفيقه في الغار . وعلى عمر فتاح الأمصار . وعلى عثمان شهيد الدار . وعلى علي راسخ الإيمان . وعلى سائر آل والأصحاب على توالي الزمان . وسلم تسليما كثيرا على الدوام . عباد الله هذه ليلة ثلاث وعشرين وقد قال قوم أنها ليلة القدر . روى عن علي رضي الله عنه : أن ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين . وقال ابن مسعود رضي الله عنه « اطلبوا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين » وروى الشافعي أن أرجاها ليلة ثلاث وعشرين . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقيامها وقال « من قام

ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» وقيامها إحياء ليلها
بالتهدؤ والصلاة. قالت عائشة «يارسول الله إن وافقت ليلة القدر، أقول
خيرها؟ قال قولي: اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عني» وكان النبي صلى الله
عليه وسلم يتهدؤ في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلة لا يمر بآية فيها
رحمة إلا سأل أو بآية فيها عذاب إلا تمود، فيجمع بين القراءة والصلاة
والدعاء والتفكر، وهذا أفضل الأفعال وأكملها في ليالي العشر وغيرها.
قول الشافعي: أحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها،
المحبون تطول عليهم الليالي فيمدونها عدلاً لا تنظار ليلالي العشر كل عام،
خإذا ظفرا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم. كان معاذ رضي الله عنه
إذا تهدؤ من الليل قال: اللهم نامت العيون، وغادت النجوم. وأنت
حتى قيوم.

عباد الله، اغتموا هذه الأوقات وأكثروا من الدعاء
والتضرع إلى عالم السر والخصيات. قال الله تعالى (وإذا سألك عبادي
عني فأني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) وقال النبي صلى الله
عليه وسلم «الدعاء هو العبادة» وعليكم بجوامع الدعاء التي تجمع خير الدنيا
والآخرة. ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال: كان أكره دعاء
النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار». ومن دعائه صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أسألك الهدى

والتقى والعفاف والغنى، اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني
اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمك، وتحول عافيتك ونجاة نعمتك
وجميع سخطك. اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من
الجن والبخل، وأعوذ بك من العجز والكسل، أعوذ بك من
غلبة الدين وقهر الرجال، اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وانغني
بفضلك عن سواك، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن
قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»
وقال صلى الله عليه وسلم «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة» وقالت
أم سلمة رضي الله عنها «كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم
ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ومن دعائه صلى الله عليه وسلم
«اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك النار
وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير كله عاجله وآجله
ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت
منه وما لم أعلم، والظنوا بياذا الجلال والإكرام» أي الزموا هذه الدعوة
وأكثروا منها. روى ابن ماجه عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في
العمر إلا البر، وإن الرجل ليجرم الرزق بالذنوب يصيبه» .

عباد الله إلى متى تجمعون مالا تأكلون وتبغون مالا تسكنون -
 والجيد في بيوتكم تدخرون . والردىء إلى الفقير تخرجون (لن
 تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) . اللهم عاملنا بإحسانك وتولنا
 برحمتك وغفرانك . واجعلنا من عبادك الذين لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون . اللهم لا تحرمنا بذنوبنا ولا تطرنا بعيوبنا ، وتجاوز عن
 جرائمنا بعفوك وغفرانك . وألحقنا بالذين أنعمت عليهم في دار
 رضوانك . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين ،
 برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل الرابع

في فضل السبع الأواخر من عشر رمضان وليلة القدر

الحمد لله الذي طهر لأبصار البصائر عيانا، فامتلات قلوب عارفيه
به إيمانا، الحى الباقي فلا يزول ولا يتفانى السميع البصير فهو يسمعنا
ويرانا. نحمده على ما منحنا وأولانا، ونشكره وكيف لا نشكر مولانا.
ونشهد له بالوحدانية سرّاً وإعلانا، وأن سيدنا ونبينا محمداً عبده
ورسوله أرسله وشجرة الكفر قد فرعت أغصانها، فقطمها بمنجل
مجاهدته. وزرع من حقائق الإيمان بستانا، صلى الله عليه وعلى أصحابه
الذين كانوا أنصاراً له على الحق وأعوانا. ونزع ما فى صدورهم من
غل إخوانا. أشداء على الكفار رحماء بينهم ترام ركعاً سجداً يبتغون
فضلاً من الله ورضوانا. ورزقنا الله محبتهم على الوصف الذى وصانا.
فختمهم أبو بكر الذى يوقد فى قلوب مبهضيه نيرانا وعذر الذى جعل
لعطاء للمسلمين ديوانا. وعثمان الذى يقطع الليل صلاة وقرآنا. وعلى
الذى نهواه معاشر أهل السنة ويهوانا. ما علمت الورق منابر الورق
مورجت ألحانا.

عباد الله، قد أقبلت إليكم ليلة القدر. ولها أعظم الشرف
وأوفى الأجر. ليلة شرفها الله على غيرها. ومن على عباده

بجزيل خيرها . ليلة أنزل الله فيها القرآن وأجزل فيها الأفضال والإحسان، ووالى اللطف على خلقه فيها والامتنان. وشرف قدرها على سائر الزمان . ليلة لا تشبه ليلالى الدهر . ليلة القدر خير من ألف شهر . واعلموا أن هذه الليلة ، ليلة أربع وعشرين وهى أول السبع الأواخر . وقال طائفة من أهل العلم : هى ليلة القدر ، وممن قال ذلك الحسن البصرى وأهل البصرة كافة . وروى عن أنس أنه يقول ذلك . وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن جرير عن بلال، رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين» وروى عن سعيد بن جبير قال «قمنا ليلة مع ابن عباس بالمسجد الحرام فخفق رأسه خفقة فقال: أى ليلة هذه؟ قلنا ليلة أربع وعشرين قال: الليلة ، ليلة القدر رأيت الملائكة تنزلوا» وقالت عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم «أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول «أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك» فلا يحبى بنى معاذ لولم يكن العفو أحب الأشياء إليه لم يتل بالذنب أكرم الخلق عليه يشير إلى أنه ابتلى كثيرا من أحبائه وأوليائه بشيء من الذنوب ليعاملهم بعفوه . وقد جاء فى حديث ابن عباس مرفوعا «أن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة : مدمون

سخر وعاق ومشاحن وقاطع رحم» وفي الصحيحين عن عائشة رضی الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله » وعن أبي كبشة عمرو بن سمد الأنماري رضی الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ثلاثة أقسم عليهن وأحدثنكم حديثا واحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزاء ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها ، وأحدثنكم حديثا فاحفظوه قال : إنما الدنيا لأربعة : نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعمل فيه لله حقا فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا عملت بمثل فلان فهو بنيتة فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يجبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل . وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا عملت فيه بمثل فلان فهو بنيتة فوزرهما سواء » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح . ويا عباد الله احضروا قلوبكم في صلواتكم وعند مناجاة ربكم قال النبي صلى الله عليه وسلم « ادعوا الله وأتمموا مقتنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » وفي الحديث الآخر « فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر

«حلب غافل» وعن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجلين يتوجهان إلى المسجد فيصليان فينصرف أحدهما من صلاته أوزن من أحد، وينصرف الآخر وما تعدل صلاته به، وإن لم يتمها ضرب بها وجهه» إن المبدأ إذا عمل بطاعة الله أحبه الله فإذا أحبه الله حبه إلى خلقه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله فإذا أبغضه الله يبغضه إلى خلقه. وكان يقول: ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله من موعظة يعظ بها قوما فيتفرقون قد نفهم الله بها، ويل لكل جماع فاخر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عنده لو استطاع الوصل الليل بالنهار: ويل له من حساب غليظ. وعذاب شديد. قال ابن عباس رضى الله عنهما «إن للحسنة نورا في القلب وزينا في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق. وإن للسيئة ظلمة في القلب وشيناً في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق» وكان الإمام أحمد وسفيان الثوري رحمهما الله يتمثلان بهذين البيتين:

تفتى اللذافة ممن ذاق صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والمار
تبقى عواقب سوء في مغبتها لاخير في لذة من بعدها النار
فاحذروا المعاصي فبئس المطلوب. ما أقبح آثارها في الوجوه

كأنك بالمشى إلى سبيلك . وقد جد المجهز في رحيلك ، وقد مدد
 الرجال إليك نعشا ، فأنت عليه ممدود بطولك . فلما أسلموك نزلت
 قبرا . ومن لك بالسلامة في نزولك . أعانك يوم تدخله رحيم ، رءوف
 بالعباد على دخولك ، ألتست ترى المنيا كل يوم ، تصيبك في أخيك وفي
 خليلك ، اللهم ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وهب لنا تقواك ، واهدنا
 بهدائك ولا تكننا إلى أحد سواك ، واجعل لنا من كل هم وغم فرجا ،
 ومن كل ذنب وضيق وشهوة مخرجا ، اللهم ارحم عبادا غرهم طول
 إمهالك ، وطعمهم دوام أفضالك وإحسانك ، ومدوا أيديهم إلى كرم
 نوالك ، وأيقنوا أن لا غناء بهم عن سؤالك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع
 المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين :

الفصل الخامس

في فضل ليلة خمس وعشرين من رمضان

الحمد لله المعروف بدليله . الهادي إلى سبيله . المشكور على كثير
الإتمام وقبليه : الذي تسبحة الأصوات إذا عجت . والسحاب إذا
ثجت . والمياه إذا سكنت وارتجت ، والقلوب إذا صبرت على البلايا
أوضجت . رافع السماء وبانيها . وساطع الأرض وداحيها . ومثبتها
بالأطواد في نواحيها . العالم بما يحدث في أقاليمها ودانيتها . يعلم ما يلج
في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . أحمده
على فضله الشامل . وأشكره على إحسانه الكامل . وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة ظهر نورها ولاح ، وأشرق هداها
في المساء والصبح . واكتسب قائلها شرفاً وتبها . وأشهد أن سيدنا
محمداً عبده ورسوله أرسله والحق دأثر . وقدم الصواب عاثر ، والحق
مندثر والباطل ظاهر . فقمع الباطل بالحق الظاهر . ونسخ ظلمات
الجهالة بنور العلم الزاهر . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تمتد
على ممر الزمان توالياً وعلى صاحبه في الضيق : أبي بكر الصديق .
الصابر على الشدة . والثابت على البلايا بنفس مستعدة . القائم في مقام

الوحدة وحده يوم الردة . المخصوص بفضيلة الغار فمن ذا يدانيها .
وعلى الفاروق عمر بن الخطاب . المنفرد بشدته من بين الأصحاب .
الموفق يوم بدر لإصابة الصواب . المتكلم بلسان الغير حتى ضرب
الحجاب . الذي أشاد أركان الإسلام بمدله وعمّر مبانيها . وعلى عثمان
شهيد الدار . القائم بالأسحار ، الصائم بالنهار ، المخلص في الأذكار ،
جامع سور القرآن وحاويها . وعلى عليّ بن أبي طالب ذي العلم
والزهادة . الحريص على طلب السعادة . جامع العلم والعمل والشهادة .
المطلع على دقائق العلوم ومعانيها . وعلى التابعين لهم بإخلاص الأعمال
وصفاء القلوب . ما ترددت الشمس بين الطلوع والغروب واشتد
النجوم وبدأ باديها . وسلم تسليماً كثيراً .

عباد الله اجتهدوا في إخلاص الأعمال . والابتغال إلى ذي العظمة والجلال
في بقية هذه الأيام والليالي . ولا تنفروا بهذه الأعمال القصيرة فإنها قريبة
الزوال . واعلموا أن هذه ليلة خمس وعشرين وقد قال طائفة من أهل العلم :
هي ليلة القدر . وروى فيها حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
« التمسوها أي ليلة القدر في تسع يديقين أو سبع يديقين أو خمس يديقين » قال
مالك أرى والله أعلم : أن التاسعة ليلة إحدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث
وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين ، واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان

أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . ولهذا ورد في الحديث الصحيح أن تفتح فيه أبواب الرحمة . روى أحمد والنسائي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » قال النبي صلى الله عليه وسلم والصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول «الصيام : أى رب منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه . ويقول «القرآن : منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» وفي الترمذي وخبره «أن الله عتق من النار وذلك كل ليلة» ولكن الأغلب على أوله الرحمة وهى للمحسنين المتقين قال الله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقال تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) فيفاض على المتقين في أول الشهر خلع الرحمة والرضوان . وهى مامل أهل الإحسان بالفضل والامتنان . وأما أوسط الشهر فالأغلب عليه المغفرة فيغفر فيه للصائمين وإن ارتكبوا بعض الذنوب الصغار، فلا يذنبهم ذلك المغفرة كما قال تعالى (وإن ربك لتدومغفرة للناس على ظلمهم) وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته إلا وزاد . فيعباد الله حافظوا على الصلاة ، وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة

وإياكم والنبيّة والنبيمة وجميع المنكرات . ففي صحيح مسلم عن أبي
 هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون
 ما النبيّة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره . قال :
 رأيت إن كان في أخى ما أقول : قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتّه ، وإن لم
 يكن فيه ما تقول فقد بهتّه » وفي صحيح البخارى عنه قال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى
 ما يلقى لها بالا يرفع الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من
 سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم » وروى أبو داود عن
 أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خرج
 بي مررت بقوم لها أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ،
 فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في
 أحراصهم » وقال صلى الله عليه وسلم « من رد عن عرض أخيه رد الله عن
 وجهه البار يوم القيامة » . فكأنى بك وقد قصم الموت عراك التى بها
 تمكنت . فأخرجك من دارك التى جودت عمارتها وسكنت . فتنفكر
 فى قبر تخلو فيه بما أسأت وأحسننت . إلى أن تقوم للحساب على
 ما أسررت وأعلنت . فترى بالتقى فطوبى لك إن ترينت . فلا أم لك
 تتيك مما يلايك . ولا ولد يقدر أنه يفديك . وودعك الأهل وداع

من لا يلتقى . وتصعد الروح من أسفل الجسد وترتقى . فإن كنت طامعاً فزت وإلا أنت الشقى : ليت شعري إذا دنا انتقالك . فإذا مقالك وماذا ينفعك مالك ، إذا أوبقتك أعمالك . فحاسب نفسك فقد غرب سؤاالك . في الصحيحين «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى الصدقة أفضل ؟ قال أن تصدق وأنت صحيح صحيح تأمل البقاء وتخاف الفقر ولا تهمل ، حتى إذا بلغت إلى الخلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا إلا وقد كان لفلان» وفي لفظ مسلم «يقول العبد مالى مالى وإعماله من ماله ثلاث ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فأمضى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس» . روى أبو داود والترمذى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما مسلم كسى مساماً على عرى كساه الله من خضر الجنة وأيما مسلم أطعم مساماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مساماً على ظمأ سقاه الله هذا الرحيق المختوم» .

عباد الله أين أرباب القيام أين المتمجدون فى جنح الظلام ؟ أين أهل الشفقة والرحمة بالضعفاء والأيتام ؟ ذهبوا إلا قليلاً منهم فعليهم السلام . اللهم يا من فتح بابك للطالبيين وأظهر غناهم للراغبين . نظمنا فى سلك عبادك المفلحين ، واجعلنا من عبادك المخلصين ، وآمنا من الفزع الأكبر يوم الدين ، واحشرنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل السادس

في فضل قيام الليل

الحمد لله المنفرد بالقدم والبقاء . والعظمة والكبرياء والعز الذي لا يضام ، الواحد الأحد الفرد الصمد . الملك الذي لا يحتاج إلى مدد . العلي من مداناة الأوهام ، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته . فالملوى والسفلى والإنسى والجنى والعرش والكرسى مفتقر إليه وهو الغني على الدوام . وتبارك الذي غفر وعفى وستر وكفى . وعلم ما ظهر وما خفى . وأسبل على الكافة جميع الأنعام ، أحمدته على جميع نعمه الوافرة الجسام . وأشكره وأسأله حفظ نعمة الإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عز من اهتز به فلا يضام . وذل من تكبر عن أمره ولقى الآثام . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي بين الحلال والحرام . حتى عرف طريق القوام . وأنزل تعظيماً لحقه وتشريفاً وتبيناً وتعريفاً . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام صلى الله عليه وعلى أبي بكر الصديق . الذي هو في الغار خير رفيق ، وعلى عمر بن الخطاب الذي

تزل على لسانه الكتاب، وعلى عثمان مصابرا بالبلاء . ومن نال الشهادة
المعظمى من أيدي العدا . وعلى ابن عمه علي بن أبي طالب . من نص
أنه أفضى المشارق والمغارب . الشهيد أبي الشهداء والأئمة الأئمة وعلى
جميع الصحابة والقراية والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، صلاة
دائمة إلى يوم العرض والمقام ، وسلم تسليما . قال الله تعالى (كانوا قليلا
من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) وقال تعالى : (والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما) وقال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا وممارزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى
لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد
به نافلة لك) . وفي صحيح البخارى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليلة
الآخر ، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني
فأغفر له » وفي مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا كان ثلث الليل الباقي يهبط الله إلى السماء
الدنيا ثم تفتح أبواب السماء حتى يطلع الفجر » وقال صلى الله عليه وسلم
لأبي ذر « يا أبا ذر صم يوما شديداً حره ليوم النشور ، وصل ركعتين
في ظلمة الليل لظلمة القبور » وقال صلى الله عليه وسلم « من كثرت صلواته
بالليل حسن وجهه بالنهار » ، وقيل للحسن البصرى ما بال المهجدين

أحسن الناس وجوها؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره .
وقال كعب : إن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون
بالليل في بيوتهم كما تنظرون ، إلى النجوم في السماء وفي الحديث الصحيح
قال الله تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر » روى أن الله تبارك وتعالى أوحى إلي داود
عليه السلام « يا داود كذا با من ادعى محبتي وإذا جن الليل نام عنى ، أليس
كل حبيب يحب الخلو بمحبوبه؟ فما أنا مطلع على أحبائي ، أرى تضرعهم
وأسمع أنينهم ، وأنظر إليهم ، يا داود وعزتي وجلالي ما تقرب المتقربون
إلي بعد الفرائض بأحسن من صلاة الليل ، يا داود صلاة الليل نور على
وجه صاحبها يوم القيامة فيدرج فراشه ويصلى الليل كله » .

عباد الله عليكم بالإحسان إلى الجيران وحب المساكين والأيتام ، ففي
الصحيحين « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما زال جبريل يوصيني
بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقال صلى الله عليه وسلم « لا يشبع المؤمن
دون جاره » وفي صحيح الحاكم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
« ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائعا » وفي رواية « ما آمن من بات
شبعانا وجاره بات طاويا » ، وخرج الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم
قال « يا عائشة أحي المساكين وقربهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة ،

واعلموا رحمكم الله، أن المساجد بيوت الله تعالى وقلوب المحبين
بيوت مولا ممتلئة، وأقدام العابدين إلى بيوت معبودهم مترددة،
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما اجتمع قوم في بيت
من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم
السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكروا الله فيمن عنده» وفي
الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « جنات الفردوس أربع
لائنتان من ذهب حليتهما وآيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة آيتهما
وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء
الكبرياء على وجهه في جنة عدن» وعن أبي هريرة قال «قلنا يا رسول الله،
حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها
المسك الإذفر وحصباءها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من بدخلها
ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه. دار ليس
فيها ما يشينها. دار لا يفنى منها ما يزينها، دار لا يزول عزاها وتمكينها،
دار أشرفت حلالها، دار جل من بناها، دار طاب للابرار سكنائها،
دار تبلغ النفوس فيها مناهها، دار أين خاطبوها فقد وصفناها، ثمارهم
في أشجارهم وافرة، وعيونهم إلى ربهم ناظرة، وقد حازوا شرف

الدنيا وفوز الآخرة. وأحلى النعيم أنهم لا ينترون وفاكة مما يتخيرون
أجناس الجنات والممالك ، ويسلم عليهم في قصورهم المالك ، وإنما وهبنا
لهم جميع ذلك ، لأنهم في خدمتنا يجتهدون ، اللهم ، اللهم يا من لا تضره
المعصية ولا تنفعه الطاعة ، ارحمنا فإننا تائبون إليك في هذه الساعة ،
وتمطف على يد امتدت إليك بالذل والضراعة ، واغفر لنا ولو الدين
ولجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات ، برحمتك يا أرحم الراحمين :

الفضل السابع

فضل في ليلة سبع وعشرين من رمضان

الحمد لله القديم الأحدي . العظيم العبدى . الدائم السرمدى .
رفع بقدرته السماء . وأجرى بحكمته الماء ، وعلم آدم الأسماء . وأمكنه
من العشر المضى . فخالف بالأكل الصواب ، فكشف الخلاف عنه .
الجلباب . فخرج وما يعرف الباب . لشؤم ارتكاب النهى . فإزال
يبكى الهفوات . ويستدرك سالف الفوات . حتى عطفت على تلك
العبرات . رحمة الراحم الحفي ، فاحذر من الأفعال الخباث . فإنها سبب
الالتبات . وتعلق بالمتشغاث . ينقذك من جهل العمى . تفرد بالإنعام
والجود . وأذل الأعناق له بالسجود . وتنزه عن مشابهة كل موجود .
بالوجود الأزلى ، موصوف بالرضى ويحذر منه السخط ، ومعروف
بالكرم فيأياك والقنط ، شرط عليك التقوى فقم بالذى شرعها ،
فإنه لا ينسى أجر التقى ، قضى القضا قبل خاق الخلق وفرغ ، وأنزل
القرآن والزم من النذر قد فرغ ، لينذركم به ومن بلغ ، باللسان
العربى ، وهو المكتوب المسموع المعروف ، المحفوظ المتلو المألوف ،
والمتكلم به بالكلام موصوف ، أنزله روح القدس على قلب النبي .

لا يخلق على كثرة التكرار ولا يبلى ، ولا يقدر الخلاق على مثله
حاشا وكلا ، تعرف الملائكة كل بيت فيه يتلى ، معرفتهم بالسكوكب
الماضي ؛ أحده على الفهم القويم القوى ، وأستعيذه من الشيطان الرجيم
القوي ، وأشهد بالتوحيد شهادة خالصة من الشك الردي ، وأشهد
أن محمداً عبده ورسوله أستخرجه من العنصر الزكي ، ونصره بالرعب
قبل المشرقى ، وأرسله بالدليل الواضح الجلى ، وزهده فى مجالسة الفنى ،
ورغبه فى صحبة الفقير الضعيف القصى ، وعاتبه فى صهيب الرومى ،
وبلال الحبشى ولا تطرد الذين يدهون ربهم بالغداة والعشى ، فصلى الله
على سيدنا محمد الهاشمى القرشى ، المسمى التهامى ، الزمزمى الأبطحى ،
وعلى صاحبه المخصوص بفضيلة ثمانى اثنين ، وهو فى القبر مضاجعه
كثمانين ، كيف لا وقد كانا رفيقين فى الزمان الجاهلى وعلى الذى كانت
الشياطين تفرق من ظله ، وتفرق هيبة من أجله ، إذا سمعوا خفق
نعله ، هربوا من الأخوذى ، وعلى مصابر البلا من أيدي الأعداء
الذى تستحى منه ملائكة السماء ، سلام الله على ذلك الحبي ، وعلى الذى
ملء علما وخوفاً وجاهد على ترك الدنيا فأوفى ، ونحن والله بحبه
أوفى ، من حب الرافضى وعلى جميع أصحابه وأزواجه ، وأتباعه على
منهاجه ، ما قام مكلف بالفرض الرسمى وسلم تسليماً .

عباد الله هذه ليلة سبع وعشرين وقد قال كثير من العلماء : هي ليلة القدر . كما روى الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس « أن رجلا قال يا رسول الله إنى شيخ كبير يشق على القيام ، فرنى بليلة يوفقنى الله بها لليلة القدر ، قال عليك بالسابعة والعشرين » .

وقال صلى الله عليه وسلم « تجدونها ليلة سبع وعشرين ، يعنى : ليلة القدر » ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ، قال « لا يزالون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها الليلة السابعة والعشرين » ومن يقول بذلك أبى بن كعب وكان يحلف عليه ولا يستثنى وهو قول أحمد وإسحق .

وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال « من قام ليلة القدر إيمانه واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

فينبغى للماعل أن يجتهد ويبادر عمره بالاجتهاد ، فبقدر عمله يزيد جزاؤه ، وعلى قدر تقصيره يقل عطاؤه ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها .

قال صلى الله عليه وسلم « ما من ميت مات إلا ندم إن كان محسنا ندم ، ألا يكون ازداد إحسانا ، وإن كان مسيئا ندم ألا يكون استعيب » .

إذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسيء،
فقد ورد أن الموتى يتحمرّون على زيادة أعمالهم بتسيحة أو
ركعة .

وروى أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم «تفرغوا من الدنيا ما استطعتم ، فإنه من كانت الدنيا أكبر
حمة فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ، ومن كانت الآخرة أكبر
حمة جمع الله له أموره وجعل غناه في قلبه ، وما أقبل عبد بقلبه إلى الله
إلا جعل قلوب المؤمنين تفتد إليه بالود والرحمة وكان الله عز وجل
إليه بكل خير أسرع» .

واعلموا رحمكم الله أن الأعمال بالخواتيم ، فمن أصلح فيما بقى غفر
له ماضى . ومن أساء فيما بقى أخذ فيما بقى وما مضى .

وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « إن في
هذا الشهر ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » .

أما خصنا الله بشهر أيما شهر ، بشهر أنزل الرحمن فيه أشرف
الذكر ، وهل يشبهه شهر وفيه ليلة القدر ، فكم من معتق فيها من
النار ، وهو لا يدري ؛ واختموا مجالسكم بذكر الله والاستغفار ،

والصلاة على النبي المختار ، فقد روى الترمذى وغيره عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من جلس في مجلس
فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم
وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له
ما كان من مجلسه ذلك » ، وتناصحوا فيما بينكم فإن النبي صلى الله
عليه وسلم قال « الدين النصيحة » وقال « لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لأخيه ما يحب لنفسه » .

واحدروا مجالسة السفهاء الأشرار ، وعليكم بصحبة الصالحين
الأخيار . فصاحب تقياً عالماً تنتفع به ، فصحبة أهل الخير ترجى
وتطلب ، وإياك والفساق لاتصاحبهم ، فقربهم بمدى وذاك
محرب .

إخواني ليلة القدر يفتح فيها الباب ، ويقرب الأحياب ، ويسمع
الخطاب ، ويرد الجواب ، ويرجى للعاملين عظيم الأجر ، سلام هي
حتى مطلع الفجر ، ليلة تتلقى فيها الوفود ، ويحصل لهم المقصود ،
أترى ما يؤلمك أيها المطرود هذا الهجر ، سلام هي حتى مطلع الفجر ،
إذا جن الليل وانسدل الظلام ، قاموا بأقدام العزائم على الأقدام ،

وترغبوا بأشرف الذكر وأحلى الكلام . وسرت أسرارهم مسطورة
بدمع سحاج ، على صحائف خدود إلى الملك العلام ، كم بينك وبينهم
يامن رقد ونام .

في الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي موسى « ألا
أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى يا رسول الله . قال : لا حول
ولا قوة إلا بالله » .

اللهم يامن خلق الإنسان وبناه واللسان وأجراه ، يامن لا يخيب
من دعاه ، تهب لكل منا في هذه الليلة مارجاه ، وبلغه من خير
الدارين مناه .

اللهم وإذا اطامت في هذه الليلة على خلقك ، فعد علينا بمنك
وعتقك ، وقدر لنا من الحلال واسع رزقك ، واجملنا بمن عرفك
وقام بحقك .

اللهم من قضيت بوفاته فاقض مع ذلك رحمتك . ومن قدرت
طول حياته فاجعل مع ذلك نعمتك .

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، ونعوذ بك

من النار وما قرب إليها من قول وعمل . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
 الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ،
 الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه
 أجمعين .

الفصل الثامن

في التحريض على الاعتذار من الهفوات

واستدراك الوقت قبل الفوات

الحمد لله الذي أعان بفضل الأقدام السالكة ، وأنقذ برحمته النفوس
الهالكة ، ذو الدنيا ، واعلم أن سيوف غدرها باتكة ، وأعرض عن
أهلها إلا القصية الناسكة ، وكيف يسكن إليها ونوق الرحيل بازك ،
وسيقرع مجها منه ندما إذا أصبحت سني الزاهد ضاحكة ، كم بينك
ويدهم يامن نفسه عليها متهالكة ، فالعمل على تقوى رابعة ، لا على
انبساط بوران وعائكة ، سمد من رأى الدنيا فتبصر ، ورضى بوصف
أشعث أغبر ، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقام الملائكة . أحمد على
الأموال اللذيذة والشائكة ، وأقر بتوحيده إقرار عبد يعرف مالكة ،
وأصلى وأسلم على نبينا محمد صلوات متداركة ، صلى الله عليه وسلم
وعلى صاحبه أبي بكر الذي تحرض عليه الفرقة الآفكة ، وعلى
عمر الذي كانت نفسه لنفسه مالكة ، وعلى عثمان منفق الأموال
المتداركة ، وعلى عليّ مجلي الحروب المظلمة الخالكة ، وعلى بقية الصحابة

الذين أنار الله بهم التوحيد ، وأزال ظلم الشرك والأهواء ، المتركة ،
وسلم تسليما

عباد الله : اعلّموا أن هذا عشر مبارك الليالي والأيام وهو سبب
لحلو الذنوب العظام . وفيه يتوفر جزيل الأجر والإينام ، فاعتذروا هذه
الليلة إلى المولى الكريم وتعلقوا بذيل جوده فإنه رحيم ، وأقبلوا
بالقلوب إليه ، وقفوا بالخشوع والخضوع لديه ، وانكسروا بين يديه ،
فإنه رحيم كريم ، مدوا أنامل الرجا إلى بابه ، وأتبعوا البكاء طريق
أحبابه . وتعرضوا الليلة لجزيل ثوابه ، واحذروا من سطوته
وعقابه .

واعلموا رحمكم الله أن شهر رمضان تكثرفيه أسباب الغفران ،
عن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيلولة القدر فيه ، ومن أسباب
المغفرة فيه تفضير الصوام وذكر الله .

وروى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « لقيت ليلة أسرى بنى إبراهيم فقال يا محمد أقرأ
أمّتك . بنى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها
خيّمان وإن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ،
ومنها الاستغفار ودعائم الصائم يستجاب في صيامه وعند فطره . »

وتقدم عن ابن عمر : أنه إذا أفطر نال : اللهم يا واسع المغفرة اغفر لي .

وفي حديث أبي هريرة « وينفر فيه إلا لمن أبي . قالوا من يأبى ؟ قال يأبى أن يستغفر الله . ومنها استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا فلما كثرت أسباب المغفرة في رمضان كان الذي نفرته المغفرة فيه عروما غاية الحرمان .

وعن أبي هريرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال « آمين آمين آمين . فقيل يا رسول الله إنك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين . فقال إن جبريل أتاني فقال : من أدرك رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقل آمين فقلت آمين . ومن أدرك أبو يه أو أحدهما فلم يبرهما فدخل النار فقل آمين فقلت آمين . ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت آمين (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنه الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) .

فيها أيها العاصي وكانا كذلك ، لا تقنطن من رحمة الله لسوء أفعالك ، فلكم من ممتق من النار في هذه الأيام من أمثالك ، فأحسن الظن بمولائك وتب إليه فإنه لا يهلك على الله إلا هالك ، إذا جمعت فيك الذنوب

قدواها يرفع يد في الليل والليل مظلم . ولا تقنطن من رحمة الله إنما
تقنوطك منها من ذنوبك أعظم ، فرحمته للمحسنين كرامة ، ورحمته
للمذنبين تسكرم .

واعلموا رحمكم الله أن المعاصي سبب الطرد والهجر ، وإنها حجاب
غليظ عن الله ، وتحول بين العبد والمغفرة فعلى وجه الطائع نور طاعته ،
وعلى وجه المعاصي ظلام مخالفته . وعند الموت يتلقى هذا البشارة ،
ويقع ذاك في الخسارة .

عباد الله ، أدوا زكاة الفطر إلى مستحقيها واجتنبوا الردىء مما
تخرجون قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، ولا تيمموا
الخبث منه تنفقون) فينبغى للانسان ألا يخرج إلا طيبا فإنه يحده
عند الله مدخرا ، فإن الله وإن أمركم بالصدقة فهو غنى عنها وما ذلك
إلا أن يساوى الفقير الغنى وجميع الخلق فقراء إلى الله وهو واسع الفضل ،
لا ينفد ما لديه جواد كريم من يقرض غير قدوم ولا ظلوم . وإياكم
ونقص المسكيات والميزان فما بخسها قوم إلا ابتلوا بالأسقاط ونزع
البركات ، واحذروا الغش في المعاملات قال صلى الله عليه وسلم « من
غش أمتى فليس منا » .

لله در أقوام دعوا فأجابوا ، وقصدوا باب مولاهم فاردوا ولاخابوا ،

في صحيح مسلم عن صيب رضى الله عنه قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناديا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه. فيقولون ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا وبجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل، فما من شيء أعطوه أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة».

عن الحسن رحمه الله قال: بينما عائشة رضى الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت فقال: «ما يبكيك؟ قالت يا رسول الله هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أؤم في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حين يوضع حتى يعلم أنتقل موازينه أم تخف، وعند الكتاب حين يقال: هاؤم اقرؤوا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أو في شماله أو وراء ظهره، وعند الصراط حين يوضع بين ظهراني جهنم حتى يعلم أينجو أم لا ينجو».

اللهم أنت أعلم بالحال قبل الشكوى، وأنت قادر على تحقيق الآمال وكشف البلوى.

اللهم أنت ملاذنا إذا ضاقت الحيل، وملجأنا إذا انقطع الأمل، بذكرك يا موني الورى نتعم، وقد خاب قوم عن سبيلك قد عموا

شهدنا يقينا إن علمك واسع ، فأنت ترى ما في القلوب وتعلم .
 إلهي تحملنا ذنوباً عظيمة . أسأنا وقصرنا وجودك أعظم . إلهي
 فجد واصفح وأصلح قلوبنا فأنت الذي تولى الجميل وتكرم ، أأنت
 الذي قربت يوماً فوافقوا ، ووقفهم حتى أتابوا وأسلموا ، لهم في
 الدجى أنس بذكرك دائماً ، فهم في اللبالي ساجدون وقوم لك الحمد
 عاملنا بما أنت أهلها ، وسامح وسامنا فأنت المسلم .

اللهم سلمنا من النار ، وأدخلنا الجنة دار القرار ، واحفظنا عن
 المعاصي يا حلیم يا غفار ، وآتنا في الدنيا حسنة والآخرة حسنة وقنا عذاب
 النار . واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل التاسع

في الترغيب في إتمام العمل وإكماله

الحمد لله الذي أسكر قلوب أوليائه بسلاف محبته فها موار . وقيد
جوارح جوارحهم عن صيد الشهوات فاستقاموا . وكحل أعينهم برود
إيراد الأوراد فما ناموا ، وقوام للذة مناجاته فداموا . وأجرى عيون
دمعهم فني نحيبهم عاموا . أحمده والإنس والجان والأملك بيمض محامده
ما قاموا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنقذ
قائلها من خزنة الجحيم إذا هم لأخذه قد راموا . وأشهد أن سيدنا
ونبينا محمد عبده ورسوله الذي لم تأخذه في الله لومة اللأئين حين
لاموا . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله حق
جهاده وتصدقوا وصلوا وصاموا . لاسيا أبو بكر صاحبه ضاعنا ومقيا .
وعمر الذي قوم السياسة بعدله تقويا . وعثمان الذي أمسى لغرام البلاء
غريا . وعلى بحر العلوم وأكرم به حميا . وسلم تسليما .

عباد الله إن شهر رمضان قد قرب رحيله : وأزف تحويله . فمن
كان منكم أحسن فعليه بالتمام ومن فرط فيه فليختمه بالحسنى فالعمل
بالختام . شهر رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

ولهذا أورد في الصحيح أن تفتح فيه أبواب الرحمة . وفي للترمذي
 أن لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة . كان أبو قلابة يمتق في آخر
 الشهر جارية حسناء يرجو بعقها العتق من النار ، وفي حديث سليمان
 « فاستكثروا فيه من خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغناء بكم
 عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله
 والاستغفار . وأما التي لاغناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتمودون
 به من النار » .

فأما كلمة التوحيد ، فإنها تهدم الذنوب وتمحوها محو ولا تبقى
 ذنبا ولا يسبقها عمل . ومن أتى بها أربع مرات حين يصبح وحين يمسي
 أعتقه الله من النار .

وأما كلمة الاستغفار ، فمن أعظم أسباب المغفرة ودعاء الصائم
 مستجاب في صيامه وعند فطره . قال الحسن : أكثروا من الاستغفار
 فإنكم لا تدرون متى تنزل الرحمة . وقال لقمان لابنه : يابن عود لسانك
 الاستغفار ، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلا . وقد جمع الله بين التوحيد
 والاستغفار في قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) .

وفي بعض الآثار أن إبليس قل أهلكك الناس بالذنوب ،
 وأهلكوني بلا إله إلا الله . والاستغفار كتب عمر بن عبد العزيز

رحمه الله إلى الأخصار يأمرهم : بختم رمضان بالاستغفار، وصدقة الفطر .
فإن صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث

والاستغفار، يرفع ما تخرق من الصيام باللغو والرفث ولهذا قال
بعض العلماء : إن صدقة الفطر للصيام كسجدة في السهو للصلاة .

والاستغفار، ختام الأعمال الصالحة كلها وقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله : قولوا كما قال أبوكم آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وكما قال إبراهيم (والذي أطعم أن
يفقر لي خطيئتي يوم الدين) وكما قال موسى (رب إني ظلمت نفسي
فاغفر لي) وقولوا كما قال ذو النون (لا إله إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين) .

وأما سؤال الجنة والاستمادة من النار، فن أهم الدعاء . وقد قال
صلى الله عليه وسلم « حولها نذندن » فمثل نفسك أيها المسكين وقد
قمت من قبرك عطشاناً جائعاً غريباناً ، خائفاً تساق إلى المحشر ، وقد
تعلقت بك غرمائك في دار الدنيا ، ومن كنت ظلمتهم فهذا يأخذ
بيدك وهذا يتماق بناصيتك ، وهذا يقول ظلمتني ، وهذا يقول
شمتني ، وهذا يقول اغتبتني ، وهذا يقول استهزأت بي ، وهذا يقول
جاورتني ، فأسأت جوارى . وهذا يقول هاملتني فنششتني ، وهذا

يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطمعتني، وهذا يقول رأيتني مظلوماً
وكنت قادراً على رد الظالم فأعنت الظالم علىّ وما راعيتني، فبينما أنت
كذلك وقد تعلقت الخصماء بك وأنت مبهوت متحير من كثرتهم،
إذ قرع سمعك نداء الجبار عز وجل (اليوم تجزي كل نفس بما كسبت
لا ظلم اليوم) فعند ذلك ينخلم قلبك من الخوف والهيبة وتوقن نفسك
بالهلاك وتذكر في ذلك الوقت ما أنذرك الله على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم حيث قال (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً)
فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي أتعبت فيها عنرك وتنقل إلى خصمائك
موضالهم من حقوقهم.

قال صلى الله عليه وسلم «هل تدرون من المفلس؟ قالوا المفلس
فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: المفلس من أمّتي من يأتي يوم القيامة
بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأخذ مال هذا
وسفك دم هذا وضرب هذا، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من
حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم
فطرح عليه ثم طرح في النار».

فإياكم عباد الله وجميع المحرمات، ومروا بالمعروف وانهاوا عن
المنكرات، قال صلى الله عليه وسلم «لتأمرن بالمعروف ولتنهون

عن المنكر ولبسلطن الله شراركم على خياركم فيدهوا خياركم فلا
يستجاب لهم .

عباد الله ، إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل . ولم يبق منه سوى
نزر قليل ، وهو ذاهب عنكم بأعمالكم وشاهد عليكم غداً
بأعمالكم ، ما كان أعظم ساعاته وما كان أحلى جميع طاعاته كانت
هياليه ليالى عتق ومباهاة ، وأسمااره أوقات خدمة ومناجاة .

أيها الغافل ذهب عنك شهر رمضان وودعك . وسارت فيه
خوافل الصالحين وجهلك قدمك . سلام من الرحمن كل أوان ،
على خير شهر قد مضى وزمان ، سلام على شهر الصيام ، فإنه أمان من
الرحمن أى أمان ، لأن فنيت أيامك للفر بغتة ، فما الحزن من قلبى عايك
بنغان ، فاذر الدموع وبك من أسف ، على فراق ليالى ذات أنوار على
هيالى اشهر الصوم ما جمعت . إلا لتمحيص آتام وأوزار ، بالأمى
بالبكا زدنى به كلفاً ، وأسمع غريب أحاديثى وأخبارى ، ما كان أحسننا
والشمل مجتمع ، منا المصلى ومنا القانت القار ، وفي التراويح للراحات
جامعة ، فيها المصاييح تزهو مثل أزهار ، شهر به ليلة القدر التى
شرفت ، حقا على كل شهر ذات أسرار ، تنزل الروح والأملاك

قاطبة ، ياذن رب غفور خالق بار ، شهر به يعمق الله العصاة وقد =
 أشفوا على جرف من حصاة النار ، فأبكوا ما مضى في الشهر واغتنموا ،
 ما قد بقى فهو حق عنكم جار .

اللهم اجعل في قلوبنا نوراً تهتدى به إليك ، ووقفنا للأعمال
 الصالحة المقربة لديك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم
 والميتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

الفصل العاشر

في وداع رمضان المعظم

الحمد لله موفر الثواب للأحباب ومكمل الأجر . وباعث ظلام
الليل بنسخه نور الفجر . المحيط علماً بخائنة الأعين وخافية الصدور .
الموالمى رزقه فلم ينس النمل فى الرمل ، والطير فى الوكر . جل أن تناله
يد الحوادث على مرور الدهر أغنى وأفقر وأجاع وأشبع ، وأحكم
وأسمع فبإرادته وقوع الغنى والفقر . وبمشيئته إدر الكالسمع ومنع الوقر .
أبصر فلم يخف عليه ديبب الذر فى البر . هو سمع فلم يفرب عن سمعه
دعاء المضطر . وقدر فلم يحتج للإعانة والنصر . وخصنا من بين سائر
الأمم بشهر الصيام والصبر . وغسل به ذنوب الصائمين كغسل الثوب
بماء المطر ، فله الحمد إذا رزقنا إتمامه ومنّ علينا بعد الفطر .

أحمد حمداً لا منتهى لمدده وأشكره شكرأ لا يحصى موصول
مدده ، وأتوكل عليه توكل عبد على سيده . وأشهد أن لا إله إلا الله
ووحده لا شريك له شهادة مخلص فى معتقده ، وأشهد أن سيدنا محمد
عبده ورسوله الذى نبع الماء من بين أصابع يده ، صلى الله عليه

هو على آله وأصحابه وأزواجه وتابعي مقصده لاسيما على أبي بكر
 الصديق التارك لحبه طيب وطنه ، وعزيز ولده . وعلى عمر بن الخطاب
 ناصر الإسلام ومقوم أوده ، وعلى عثمان الصابر من مرّ البلاء على أشده ،
 وعلى ابن عمه علي بن أبي طالب الفائق على الأصحاب بشجاعته وحلمه
 وورثته . وعلى بقية الصحابة والقراية والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى
 يوم الدين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

فيا عباد الله تدبروا القرآن المجيد ، فقد دلّكم على الأمر الرشيد ،
 وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد ، ولازموا طاعة ربكم لاسيما
 أيام العيد ، فهذا شأن العبيد ، واحذروا بطشه فكم قصم من جبار
 عنيد (إن بطش ربك لشديد . إنه هو يبدى ويعيد . وهو الغفور
 الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد) أين من بنى وشاد وطول ،
 وتأمّر على الناس وساد في الأول ، وظن جهلا منه أنه لا يتحول ،
 هبّات عاد الزمان عليهم سالبا ما خول ، فسقوا كأسا من الموت على
 هلاكهم عول . أفميينا بالخلق الأول : بل هم في لبس من خلق جديد .
 خيمن أنذره يومه وأمسه . وحادثه بالمبرقره وشمسه واستلب منه ولده
 وأخوه وعرسه ، وهو يسمى إلى الخطأ مشهرا وقد دنا حبسه (ولقد
 خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل
 الوريد) .

أما علمت أنك مسؤول الزمان ، مشهود عليك يوم تنطق الأركان ،
 معلوم ما قدمت في زمن الإمكان ، محاسب على خطوات القدم وكلمات
 اللسان (إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد)

ويامن يرى العبر بعينيه ، ويسمع المواعظ بأذنيه ، والنذير قد
 وصل إليه ، وكلماته تلقى عليه ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ،
 كأنك بالموت اختطفك اختطاف البرق ، ولم تقدر على دفعه بملك
 الغرب والشرق ، وندمت على تفريطك بمداتساع الخرق ، وتأسفت
 على ترك الأولى والأخرى أحق ، وجاءت سكرة الموت بالحق ، ذلك
 ما كنت منه تحيد : ثم ترحلت من القصور إلى القبور ، على رحائل
 العيدان والظهور ، وبقيت وحيدا على مر العصور ، كالأسير المأسور ،
 ونفخ في الصور ، ذلك يوم الوعيد ، فينثذ أعداء الأجسام من صنعها ،
 وضم شتاتها بقدرته وجمعها . ونادى بنفخه الصور فأجمعها ، وجاءت
 كل نفس معها سابق وشهيد ، فيهرب منك الأخ وتنسى أخاك ،
 ويمرض عنك الصديق ويرفض ولاك ، ويتجافاك الحبيب المعاشر
 صباحك ومساك . وتلقى من الهول كلما أزعجك ومساك فتنسى أولادك
 وتنسى نسائك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
 اليوم حديد . وتجري دموع الأسف وابلا ورذاذا . وتقطع الأكباد
 من الحشرات أفلاذا . ويهب لهيب النار على الكفار فيجعلهم جذاذا .

ولا يجحد المعاصي ملجأً وملاذً . وقال قرين بعد ما لدى عتيده . فيجأزى
العبد بفضله ولا تظلم ، ويتخسر المعاصي على ما جرى ويتقدم ، وتغيب اللدموع
على الأبحقان كأنها جوت من دم أو عندهم ، ويأمر المولى بأنخذ العصاة
ويتقدم ، ألقيا في جهنم ، كل كفار عنيد ، فتقدم الزبانية إلى الكفار
وتبادر ، وتنب النار وثوب الليث . إذا غضب وشاجر ، فيذل عند
زفيرها كل من عز وفاخر ، الذي حمل مع الله لها آخر ، فألقياه في
العذاب الشديد ، ويصب الصراط في أصعب الأماكن وتزعج لوضع
الميزان القلوب السواكن ، ويقع الخصام بين البائع والمبتاع في أعجب
المساكن . قال قرينه ربنا ما أطفئته ولكن كان في ظلال بعيد .
فيقول الرب تبارك وتعالى قد أزلت المظل واللي . وفصل هذا الأمر
كله إلى وإنصاف الظلوم من الظالم على . قال لا تختصموا لدى . وقد
قدمت إليكم بالوعيد . أما أنذرتكم فيما مضى من الأيام . أما
حذرتكم عواقب المعاصي والآثام . أما أمرتكم بتجنب إجرام
الأجرام أما وعدتكم بهذا اليوم في سالف الأيام . ما يبذل القول
لدى وما أنا بظلام للعبيد .

فيا لهذا اليوم المهول . الذي يحار فيه العامل والجهول . وتشخص
الأبصار وتذهل العقول يوم نقول لجهنم هل امتلئت وتقول هل
من مزيد . فذلك يوم ثبور المنافقين . وسلامة الصادقين . وفوز
(٩ - فضائل شهر رمضان)

السابقين . والنار قد أطبقت على الفاسقين . وأزلفت الجنة للمتقين .
غير بعيد . فباعثرة العاصين لقد صعب تلافيا . وياخيرة المخلصين لقد
تكامل ما فيها . إذا دخلوا الجنة أشرق ظاهرها واستنار خافيا . لهم
ما يشاءون فيها . ولدنا مزيد .

فانظروا عباد الله فرق ما بين الفريقين بحضور قلب . واستبوا
زمان الصحة بفعل الخيرات أيما سلب . فاللذات تفتى ويبقى العار
والثلب . إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
شاهد .

روى عن علي رضي الله عنه « أنه ينادى في ضوء ليلة من شهر
رمضان : يا ليت شعري من هذا المقبول فنهيه . ومن هذا المحروم
فنعزبه . » أيها المقبول هنيئا لك أيها المرود جبر الله مصيبتك ، هيئات
خلت الديار وفرغت من الصالحين . وماترى إلا أهل البطالة الغافلين ،
قال النبي صلى الله عليه وسلم « يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى
حنثالة كحنثالة التمر والشمير لا يباليهم الله باله » .

واعلموا رحمكم الله أنه يستحب صيام ستة أيام من شوال ،
لتدركوا صيام السنة على الكمال ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
« من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر » وذلك

لأن الحسنة بعشر أمثالها فصيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام
بشهرين، فصوموها عباد الله ولا تهملوها. عباد الله كم من صائم لا يصوم
غيره أبداً، وكم من قائم لا يقوم بعده أبداً، شهر جملة الله لذنوبكم
تطهيراً. ولستبثانكم تكفيراً ولن أحسن منكم صحبته ذخيرة ونورا،
ولن وفي بشرطه وقام بحقه فرحا وصرورا، فرحم الله امرئ أظهر لفراقه
جزاه، وسلم على شهره وودعه، وقال: السلام عليك يا شهر الصيام،
السلام عليك يا شهر القيام، السلام عليك يا شهر الإيعان، السلام عليك
يا شهر القرآن، السلام عليك يا شهر الدرجات السلام عليك يا شهر النجاة
من البركات، السلام عليك يا شهر الأنوار، السلام عليك يا شهر العفو
والغفران، السلام عليك يا شهر القابضين والقائمين، السلام عليك يا شهر
المعارفين العابدين، السلام عليك يا شهر المهجدين، السلام عليك يا شهر
الأمان، السلام عليك يا شهر التراويح والمصاييح والعيون
الساهرة والدموع الهاطلة والمحارب المتعطرة. والمعبرات المنسكبة،
والقلوب المنفطرة والأنفاس الصاعدة، من القلوب المحترقة، كنت
للعاصين حبسا، وللمتقين أنسا.

فاحمدوا الله أيها المؤمنون على بلوغ اختتامه وسلوه قبول صيامه
وقيامه. فيا عباد الله من كان منع نفسه في شهر رمضان من الحرام فليمنعها
فيما بعده من الشهور والأهوام، فإن إله الشهرين واحد، وهو على

الزمانين مطلع شاهد ، جزانا الله وإياكم خيرا على فراق شهر البركة ،
وأحوّل أقسامنا وأقسامكم من رحمة المشتركة . وبارك لنا ولكم في
بقية ، وسلك بنا وبكم سبيل هدايته ، برحمته وفضله ومقته .

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامه معصلاته ، وبدلت سيئاته بحسناته
اللهم اجعل شهرنا شاهداً لنا بأداء فرضك ، ولا تجعلنا ممن تعب
واجتهد ولم يرضك ، ولا تخزننا بقبائح أعمالنا يوم عرضك .

اللهم الهدى الشكر على صيام الأيام الماضية ، وأعد شهر رمضان
علينا أعوانا متواليه ، وارزقنا الزهادة في الدار الفانية ، وارفع منازلنا
في جنة عالية ، قطفها دانية واجعلنا ممن ينادى غدا في الدار الباقية (كلوا
واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية) ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين
الأحياء منهم والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على
أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين آمين .

حرر في ١٥ رمضان سنة ١٣٦٩ بقلم الفقير إلى الله العلي القدير
إبراهيم بن عبدالعزيز الغريّر غفر الله له ولوالديه وإخوانه المسلمين
تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع رسالة « وظائف شهر رمضان

المبارك » في يوم الأربعاء ٢١ رمضان سنة ١٣٩٦ هـ

وذلك بمطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر

والحمد لله أولاً وآخراً

مطبعة المنى
لا تارح الصابية